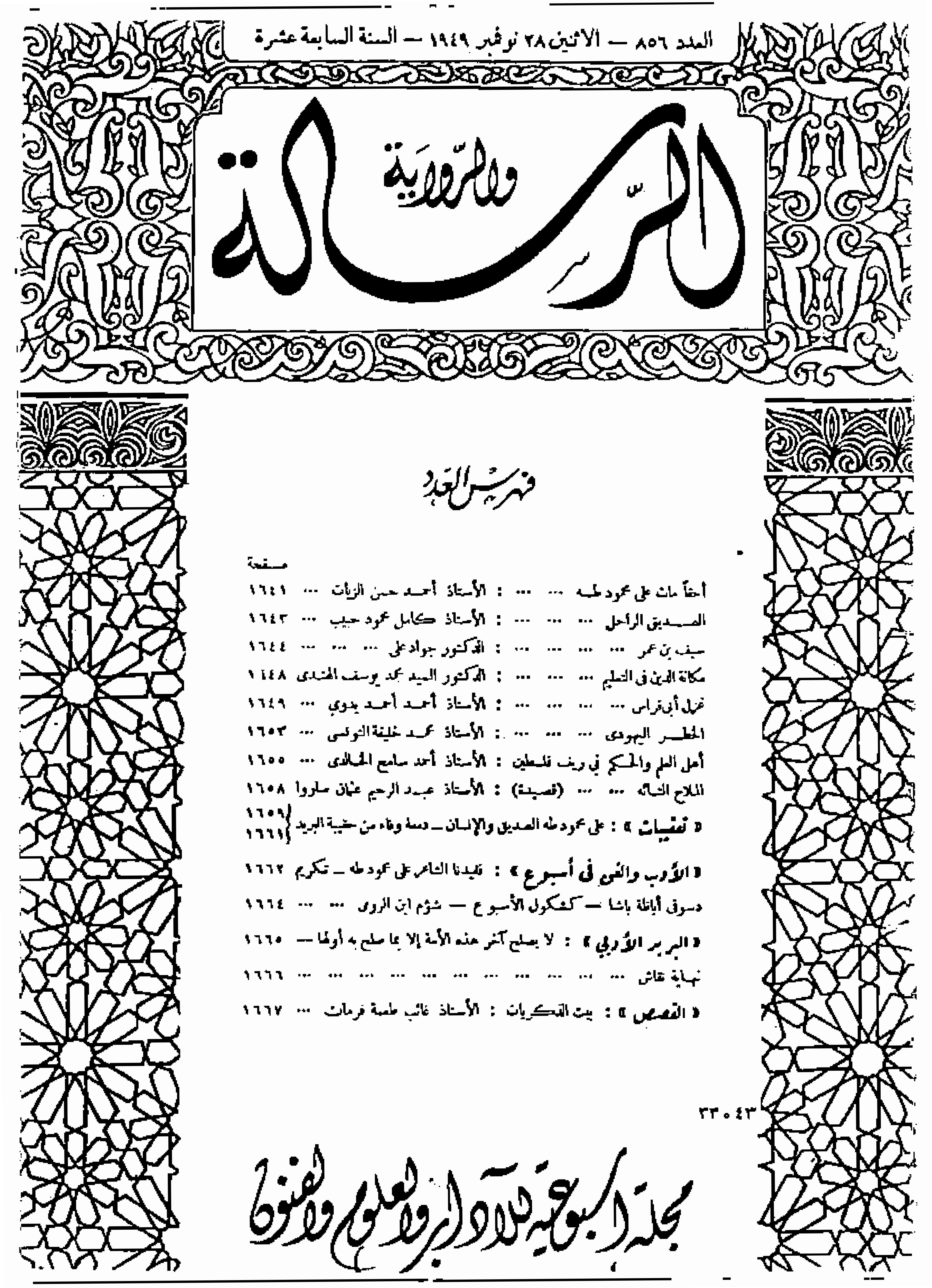


العدد ٨٥٦ — الاثنين ٢٨ نوفمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

٣٣٠٤٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

17 ème Année No. 856 | Lundi — 28 — 11 — 1949

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٨٥٦ «القاهرة في يوم الاثنين ٧ من شهر صفر سنة ١٣٦٩ — ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة»

أحقا مات علي محمود طه؟!

أحقاً رفاقَ علي لن تروه بعد اليوم يحيي المجالس بروحه اللطيف، ويؤنس الجلاس بوجهه المتهلل، ويدير على السمّار أكؤساً من سلاف الأحاديث تبعث المسرة في النفوس، وتحدث النشوة في المشاعر؟

أحقاً عشاق علي لن تسمعوه بعد اليوم ينشد القصائد الرقيقة، ويخرج الدواوين الأنيقة، ويصور الحياة بألوان من الشعر والسحر والفتون، في إطار من الجمال والحب واللذة؟

أحقاً أصدقاء علي لن تجدوه بعد اليوم يبذل من سعيه ليواسي، ويقيل من جاهه ليعين، ويجعل بيته سكناً لكل نفس لا تجد الدعة ولا الأنس، ومثابة لكل طائر لا يجد الروضة ولا العش؟



أحقاً عباد الله سكت البلبل، وتعطل الجام، وتقوض المجلس، وانفض السامر، وتفرق الشمل، وأقفر الرَّبع، وأصبح علي طه الشاعر العامل الآمل أثراً وخبراً وذكرى؟!

لقد حدثني ربع ساعة في تليفون المستشفى يوم الأربعاء، فبشرني أن قلبه انتظم وجسمه صحّ ووجهه شبا، وأن الأطباء سمحوا له بالرجوع إلى بيته، وأن استقباله في الدار سيعود، وأن مجلسه في (الاميريكين) سينعقد، وأنه سينتظرني يوم الجمعة في مكتبه ليقرأ عليّ النشيد الأول من ملحمة (اليرموك) التي اقترحتها عليه، وربما خرجنا بعد القراءة إلى نزهة هادئة في طريق الأهرام! ثم ختم عليّ حديثه الطويل بضحكة حلوة فيها أمل، وعبارة فكهة فيها تفاؤل! ولكنما كان بين يوم الأربعاء الذي حدثني فيه هذا الحديث، ويوم الجمعة الذي ضرب لي فيه هذا الموعد، يومُ الخميس الذي سكن فيه قلبه الطيب فما ينبض بحياة ولا حب، وسكت لسانه الحلو فما ينطق بنثر ولا شعر: طلع صباحه الأسود المشئوم على غرفة علي وهو يلبس ثيابه ويداعب أصحابه، وينظر في الداخل

فيرى طاقات الزهر تزين المنضدة ، وفي المشارج فيرى عرضات المنشئ يحمّلن المشتي ، فيهفو الشاعر المعمود إلى أزاهره التي تنفح قلبه بالعطور ، وإلى عرائسه التي تغمر شعوره بالشعور ، فيخرج ليؤدي ما عليه من المال المصحة ، ومن الشكر للأطباء ؛ حتى إذا أبرأ ذمته من حقوق الناس أدار عينيه حوله من أصدقائه وذوي قرباه نظرة فاترة حائرة ، ثم أسبل عينيه ، وخر مغشياً عليه ! فخف إليه أساته الذين بشروه العافية ووعدوه السلامة ، وأخذوا يقلبونه ويفحصونه فإذا الجسد الجياش بالشباب والقوة هامد لا حراك به ولا حس فيه ! وهكذا في مثل ارتداد الطرف ذهب من أرض الآدميين إنسان ، وغاب من سماء العبقريين فنان !

والمت نفسي على أحبائه وقد مسهم ما مسني من غصة الريق وحرقة الجوى حين نعاه إليهم الناعي ! لقد كان كل معنى أقرب إلى علي في أذهانهم إلا معنى الموت . لذلك ظلوا متبلدين ساهمين ، يقلبون الأكف أسى وحسرة ، ويحركون الألسن إنكاراً ودهشة !

لا يا بديع الزمان ! ليس الموت كما زعمت خطبا صعب حتى هان ، ولا ثوبا خشن حتى لان ! إنما الموت نقيض الحياة وبغيضها من أزل الدهر إلى أبده ؛ لا تقترب من مظنته ، ولا تأنس بناحيته ، ولا تسكن إلى ريحه ، حتى يفجأها كالقضاء ، ويدهمها كالوحش ، ويختلها كالصائد ، ويختلسها كاللص ! وهل الدنيا كلها عن فيها وما فيها إلا معركة لا تفتر بين البقاء والفناء والجدة والبلى ؟ أرحام تدفع ، وأجداث تبلع ، وهجوم فيه المرض والشهوة والأثرة ، ودفاع فيه الطب والسياسة والمدنية ، وصرعى هذه المعركة الضروس لا ينفكون يتناثرون من بين شق الرحا الطاحنة أشلاء لا تُشبع جوف الأرض ، ودماء لا تنقع غليل الثرى !

عرفت عليا منذ سبع وعشرين سنة على الضفاف الخضر من مدينة المنصورة . وكان حين عرفته شابا مغمور الطلعة ، مسحور الباطنة ، مسحور المخيلة ، لا يبصر غير الجمال ، ولا ينشد غير الحب ، ولا يطلب غير اللذة ، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوي ينشدها الدهر وترقص عليها الفلك !

كان كالفراشة الجميلة الهائمة في الحقول تحوم على الزهر ، وترف على الماء ، وتخفق على العشب ، وتسقط على النور ، لا تكاد تعرف لها بغية غير الصبوح ، ولا لذة إلا التنقل . ثم تتبعته بعد ذلك في أطواره وآثاره ، فإذا الفراشة الهائمة على أرباض المنصورة تصبح (الملاح التائه) في خضم الحياة ، (والأرواح الشاردة) في آفاق الوجود ، (والأرواح والأشباح) في أطباق اللانهاية ؛ وإذا الشاعر الناشئ يغدو الشاعر المحلق تارة بجناح الملك ، وتارة بجناح الشيطان ، يشق الغيب ، ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة والشياطين بالناس !

كان علي — واحسرتا عليه — من أصدق الأمثلة للشاعر الذي خلقته الطبيعة . والشاعر الذي تخلقه الطبيعة يكون في ذاته وفي معناه نشيداً من أناشيد الجمال ، ولحناً من ألحان الحب ؛ فيكون شاعراً في أخلاقه ومُثُله وأحلامه وهندامه وسلوكه ، وفي نمط حياته وأسلوب تفكيره وطريقة عمله وطبيعة صداقته . وأشهد لقد كان علي برَّد الله ثراه نسقاً فريداً في الصفاء والوفاء والمروءة والمودة . كان لا يطوي صدره على ضغينة ، ولا يحرك لسانه بنقيصة ، ولا يقبض يده عن معروف ، ولا يعقد ضميره على غدر ؛ فلم تدع له هذه الصفات الشاعرة النادرة عدوا ، لا في نفسه ولا في الناس ، فعاش ما عاش وادع البال في سلام الحب وأمان الصداقة .

قضى علي عمره بالعرض لا بالطول ، وقدر عيشه بالكيف لا بالكم ، وجعل همه في الحاضر لا في المستقبل ، ونظر إلى الشعر نظر البلبل إلى الشدو ، فكان يصدر عنه بالطبيعة إعلاناً لوجود ، وإبرازاً لنفس ، وكمالا لصورة ، وجمالا لحياة ! لذلك كان شعره تعبيراً صادقاً عن شعوره ، وتصويراً ناطقاً لهواه ، ونظاماً متسقاً مع خلقه وطبعه في الحرية والأصالة والوضوح والأناقة والسهولة والسلامة .

إن حياة علي طه كانت أشبه بالطيف خفق خفوق الملك على حواشي الروض ثم عبر ، أو الحلم نعم به رائيه في إغفاءة الفجر ، ثم زال أو حبات الندى تلألأت في وجه الصباح ثم ذهبت في متوع الضحى ، أو قطرات العطر سطعت في نفح النسيم ثم تبددت في عصف الريح . فالحزن على وفاته حزن على حبيب قضى ، وخير مضى ، وجمال ذوى ، وشباب تولى ، ووفاء غاض ، وفن ذهب . فإذا بكينا فإنما نبكي علينا لا عليه ، وإذا سألنا الله العوض منه فإنما نسأله لنا لا له . وكل ما علينا للفقيد العزيز أن ندعو الله أن يتغمده برحمته ، وأن ينزله منزلة الأبرار في نعيم جنته .

أحمد حسن الزيات

الصديق الراحل (*)

اليوم هادنت الحوادث ، فاطرح عبء السنين ، وألق عبء الداء
خلفت في الدنيا بياناً خالداً وتركت أجيالاً من الأبناء
وغداً سيذكرك الزمان ، ولم يزل للدهر إنصاف وحسن جزاء

« شوقي »

للأستاذ كامل محمود حبيب

من ضنى قلبي أذرف عبرات الحنين على قبر ثوى فيه حبيب ، ومن لوعة الفؤاد أرسل زفرات الأسى لفراقك أنت ، أيها الرجل ... أيها الإنسان . ومن لهفة الروح أعاني البثّ وهو يتدفق في أعماق دمي لأني وجدت فقدك في قرارة نفسي ، أيها الصديق .

لقد كنت — يا صاحبي — غصناً رطيباً سما ثم ذوى وصوّحت أوراقه .

وكنت روحاً تتوهج نبوغاً أشرق وتألق ثم خبا وانطفأ .

وكنت جذوة من عبقريات سطعت في سماء الشعر ثم خمدت وجفّت ذبالتها .

وكنت في قيثارة الحياة وتراً حساساً داعبته أنّات الشجون فاهتز يشدو بأنغام السماء .

كنت في قيثارة الحياة وتراً كلما أرسل لحناً هاج للحن فؤاد شج أو حنّ قلب طروب .

كنت في الدنيا لمة الفن ونور العبقرية . فكان الربيع النضر من صوغ بنانك ، وشذى عطر أفواه الرياحين من فيض جنانك ، وبسمة الأمل الحلو من لحن قيثارك ، والبهجة والشجو من سحر يراعك .

وكنت شباباً عارماً فاض بالبشر فغنى فطرب ، وشدا بالسحر فأنق الدهر للألحان سمعه ، وتغنى فيها الطير إلى أنغام عوده .

فيا للفجيعة فيك — يا صاحبي — وأنت كنت غصناً رطيباً سما ثم ذوى وصوّحت أوراقه .

* * *

صاحب الزورق جذلان استخفّه الطرب ؛ هزّه نوح نايك فانثنى فتهادى بضرب الموج بكفّ رقة وحنان .

تائماً في لجة الدنيا يرنو إلى شطآنها في قلق الحائر .

صاحب الزورق قم وانظر هل بلغت الشاطئ الأمين بعد تيه العمر في بيداء السنين ، أم أخرس الردى نغم نايك الحبيب ، وقدّ وتر قيثارك الرقيق .

أم غمرت — الآن — أشجان نفسك وأفراح قلبك في كأس مترعة من دم القلوب ... القلوب التي هدّها الحزن لفراقك .

قم تر مأتم الشعر يندب ربّه ، مأتم الفن والهوى والشباب ينادي سيده والفجيعة تعم نواحيه .

قم تر الدنيا — بعدك — خواء من مزامير الخلد ونجوى العاشقين .

قم فلقد كنت — يا صاحبي — شباباً عارماً فاض بالبشرى فغنى فطرب .

* * *

لدى مشرق الحياة تلاقينا ، والدنيا رخاء ودعة . فكنت أنت ريحانة الجمع وروح المجلس وبهجة الحديث ثم مرت الأيام والعيش تلاق وافتراق .

ومنذ أيام تلاقينا وأنت على فراش المرض ، فانصدع قلبي ؛ غير أنك كنت شجاع القلب جريء النفس ثابت الجنان .

ثم جاءالنعيّ ... فدعني أنشر ضعف نفسي على أيدي رفاق ، فأبي قوة لأكتم ضنى قلبي ، أو أستر لوعة فؤادي ، أو أداري لهفة روحي . دعني أذرف عبرات الحنين على قبر ثوى فيه حبيب . دعني أرسل زفرات الأسى لفراقك أنت أيها الرجل ، أيها الإنسان . دعني أعاني البث وهو يتدفق في أعماق دمي لأني وجدت فقدك أيها الصديق ...

دعني أرق آلام نفسي بين يدي قبرك العزيز قبل أن يجرفني تيار الحياة القاسي ...

دعني ... دعني أشيعك بنظرات الأسى ونبضات الهمّ ، ثم أناديك — وأنت في طريق الأبدية — وداعاً ... وداعاً ، أيها الحبيب ...

كامل محمود حبيب

(*) هو الشاعر العبقري الحبيب المرحوم علي محمود طه الذي هصرت غصنه يد المنون وهو ما يزال في زهرة العمر وشباب القلب .

سيف بن عمر

للدكتور جواد علي

ذاك سيف بن عمر ، مؤرخ نشيط من مؤرخي القرن الثاني للهجرة . كان مثل وملائه نهماً في التفتيش عن أخبار الماضين ، وتتبع أمورهم ، والكتابة عن الأموات مثل جماعتنا أصحاب التأريخ . لم يترك التاريخ حتى أحبه واصطفاه من بين الناس فمات سنة ١٨٠ للهجرة فكتب عنه من كان على شاكلته ، من أصحاب التأريخ من هؤلاء المفتونين بنبش الماضي ، والبحث عن الحسنات والسيئات .

وهي لا تقدم المؤرخ المسكين ولا تؤخره ، ولا تقدم العالم ولا تؤخره ، ولكنها الدنيا ، والدنيا عالم الجنون فيه فنون . وأنا مع الأسف الشديد من صرعى هذا الجنون . ولكن ولله الحمد الذي لا يحمد على محبوب أو مكروه سواه ، لولا هذا الجنون لما حدث عمران ولا ظهر اختراع ولا حدثت هـذه الطفرات التي هي من عمل « المجانين » الذين يمتازون عن الأسوياء بحالات سمّها يا أخي ما شئت ...

ثم سيف بن عمر الذي أقدمه للقراء كوفي من مدينة « الكوفة » المدينة العلوية الخارجية الهاشمية السفيانية الروائية السياسية ، حرباء المدن ، و « منجستر » زمانها ، صاحبة المعامل الضخمة ، والشركات الكبرى لصنع الأخبار ، ورواية الأحاديث ووضع القصص ، المدينة التي نفقت سوقها في الأخبار ، واشتغلت معاملها ليل نهار في صنع الشعر والنثر فأخرجت بضاعة مزجاة ، على درجات متباينات ، بينها الصحيح السليم الأصيل الذي يحتل أعلى درجات الرواية ، وبينها الموضوع المنحول الفاسد ، الذي له أصحاب واتباع وسوق على كل حال ، يعيش عليه عدد من أصحاب الفطنة والذكاء والمكر والتمدد ، وأصحاب العقائد أيضاً الذين يرون في الوضع نصراً للعقيدة والمذهب ، وقربى إلى الله ، وراحة للضمير .

ولم يرد في الكتب أن صاحبنا كان واحداً من أولئك الذين عرفوا بالعبث والمجون وبفساد الأخلاق كوالبة بن الحباب ، أو مطيع بن أياس ، أو حماد عجرد ، أو حماد بن الزبرقان ، أو حماد الراوية ، أو أمثالهم ممن اختلط حديثهم بالمجون ، وما كتب أدبهم لوناً ، وإن كان أبعد ما يكون عن الشهامة والآداب ، وحياة الرزانة والجد ، وأقرب ما يكون إلى العبث وتمضية الوقت ، إلا أنه لون ظريف على كل حال من ألوان الأدب . والأدب في عرف الادباء أشكال وألوان . ولم يعرف عنه شعر من ذلك النوع الذي كان يقوله الشعراء في دار « ابن رامين » قبلة الشعراء المجان الذين يبحثون عن الخمر والجمال في هـذه الدار . ولم يعرف عنه أمر آخر من تلك الأمور التي تعد منقصة في الرجال ، ومع ذلك فقد اتهم بالزندقة والوضع ، والكذب في الحديث .

أما الزندقة فلا أستطيع أن أثبتها ولا أن أنفيها ، فلم تذكر الكتب التي اتهمته بهذه التهمة الأسباب الداعية إلى هذا الاتهام . وأما الوضع والدس والكذب في الحديث فلها شأن ستراه فيما بعد .

وعرف سيف بتخصصه بلون واحد من الأخبار ، هي أخبار « الفتوح والردة » وكلها حروب وعراك : حروب لنصر كلمة الله وإعلان شأنه ، وعراك لإخماد كلمة من أراد إخماد كلمة الله وإطفاء نوره . ولذلك قيل له صاحب « كتاب الردة والفتوح »[1] وعرف بهذا الكتاب الذي لم يصل إلينا كاملا مع الأسف ، ولعله لم يصل إلى الناس منذ أمد بعيـد . وتدل وقائع الأحوال على أنه كان صاحب كتب أخرى في التاريخ .

وقد اعتمد على هـذا الكتاب مؤرخ حصيف شهير هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري المتوفى سنة (٣١٠) للهجرة ، وإلى هذا المؤرخ يعود الفضل في إطلاعنا على نماذج من ذلك الكتاب ، وعلى فصول منه . وقد ألف عدد من كبار المؤرخين في « الردة » ومع ذلك فقـد رجح الطبري سيف على سواه ؛ رجحه حتى على « كتاب الردة والدار » لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي[2] . وعلى كتاب الردة » لأبي الحسن علي بن محمد المدائني[3] . وعلى كتب أخرى لمؤرخين شهيرين في هـذا الموضوع كانوا في الطليعة وفي مقـدمة أصحاب الأخبار . ويستمر صوت « سيف » عالياً في تاريخ الطبري ، حيث تجد له

(١) الفهرس ص ٣٨ . (الطبعة المصرية) .
(٢) الفهرست ص ١٤٤
(٣) الفهرست ص ١٤٩

مكانة ظاهرة في الكتاب ، إلى انتهاء حوادث معركة « الجمل » فينخفض هذا الصوت ثم ينقطع تماما ، ليرتفع صوت آخر ، صوت قوي رنان ، هو صوت أبي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي[1] الذي يتسلم دوره ، ويصبح بطل الكتاب من معركة « صفين » فيما بعد يساعده المدائني وعوانة والواقدي وعمر بن شبة وابن الكلبي وأمثالهم .

وكان سيف كأكثر أصحاب الأخبار عاطفي المزاج ، متعصباً لقبيلته ، يرفع من شأنها ، ويضيف إليها ، ويجعلها بطلة في كل الحوادث ، مثله في ذلك مثل أكثر مؤرخي زمانه ، الذين أضافوا إلى قبائلهم مالا يدخل في حسابها ، فخلقوا لها شعراً ونثراً ليجعلوا لها شأناً يفوق شأن القبائل الأخرى . وما الذي يهم ابن القبيلة غير قبيلته التي ينتمي إليها ، والتي تدافع عنه ، والتي تكون قوميته ، أما القبائل الأخرى فأمرها إلى الله .

وأنا لا أريد أن ألوم صاحبنا على عاطفته الجامحة هذه ، فقد كان عصره عصر قبائل ، وقد كان النظام السياسي القائم نظاماً قبلياً ، يستند على العصبية القبلية . لا حقوق للمواطن فيه إلا إذا كان ينتمي إلى قبيلة تحميه ، أو إلى عشيرة تدافع عنه ، فطبيعي إذاً أن يكون على المؤرخ في ذلك الوقت واجب شاق ، ودين في عنقه للقبيلة ، فهو مضطر إذا بحكم الوقت إلى التعصب لعشيرته ، وإضافة المفاخر إليها ، فلا نلوم صاحبنا إذاً إذا ما أضاف إلى «تميم» ونسب إليها في الفتوحات والردة ما كان يجب أن ينسب لقبيلة أخرى . فالعصر عصر قبائل . وقد نسب محمد بن السائب بن بشر الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ وابنه ابو النضر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٦ للهجرة وغيرهما ممن هو أقدم أو أحدث عهداً منهما ، أشياء كثيرة إلى قبائلهم لم يكن لها أصل ولا نسب في الأخبار .

ثم لا نعجب من فعل أولئك الناس ؛ فقد أضاف القرن العشرون بآلاته واختراعاته وتقدم العقل فيه أضعاف الذي أضافه أولئك الذين نتحدث عنهم ، كما حذف القرن العشرون بكبريائه واعتداده بما يملك من وسائل النقد والتدقيق ، والتمحيص ، شيئاً كثيراً من الحقائق والوقائع التي يعرفها الناس في كل مكان

(١) الفهرست ص ١٣٦ J. wellhausen Das Arabische Reich und sein Sturm P. V.

فلا عجب إذاً إذا ظهر من قال : كذب والله أصحاب التأريخ . وويل للعالم من شر المؤرخين . وأنا واحد منهم على كل حال .

ودرس سيف بن عمر على جماعة من المؤرخين والمحدثين والأخباريين أمثال هشام بن عروة المتوفى سنة ١٤٦ أو ١٤٧ للهجرة وهو من ممثلي مدرسة الحديث في المدينة ومن كبار المحدثين بها ، وناشر طريقة أهل المدينة في العراق[1] ، ومن المحدثين بحديث أهل العراق ، والذي عده أهل المدينة فيمن أسف في أواخر عهده في الحديث ، وانحرف عن الجادة ، جادة أهل المدينة المعروفة في كيفية رواية السند ، وفي الجرح والتعديل ، فتركه المشايخ مشايخ المدينة الذين حافظوا على الطريقة التي ورثوها وهي طريقة محافظة بالنظر لأهل الحديث في العراق .

ودرس على محدث آخر يرجع أصله إلى البيزنطيين هو ابن جريج ، أبو الوليد أو أبو خالد عبد الملك بن عبد العزيز الرومي المتوفى سنة « ١٥٠ » من أوائل المؤلفين في الإسلام . وكانت له كتب تداولها الأيدي عرفت عند أصحابه بكتب الأمانة[2] . يظهر أنها كانت مبوبة ومرتبة على فصول . وهو من المشتغلين بالسيرة والمغازي بالإضافة إلى الفقه والحديث . وأخذ من أستاذ آخر هو موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي مولى آل الزبير المتوفى سنة ١٤١ للهجرة من محدثي المدينة ومن قدماء المشتغلين بالسيرة والمغازي[3] . وهو ثقة أهل المدينة في السيرة ، قال عنه الإمام مالك : عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة ؛ أو عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي . وهي شهادة ذات قيمة ، فقد كان الإمام صعب الإرضاء ، لا يعطي مثل هذه الشهادة إلا بعد امتحان .

وقد نقل من مغازيه عدد من العلماء مثل ابن جريج والواقدي وابن عيينة ، ويعرف مؤلفه عند المشايخ بمغازي موسى بن عقبة . وقد عثرت على قطعة منه حفظت في خزانة كتب برلين[4] . وكان من مشايخ سيف ، رجال معروفون في عالم التأريخ ، لم

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٣٦ ، تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٤٨

(٢) تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٤٠٤ ، وتوفي سنة ١٤٩ على رواية أخرى . تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٠ — ١٦١

(٣) تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٦٠ ، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٣٩ .

(٤) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٤٠ .

أسماء بارزة ترد في أكثر الكتب التي تبحث عن صدر الإسلام أمثال محمد بن السائب الكلبي عالم الكوفة ومرجع أهل الأخبار والأنساب المتوفى سنة « ١٤٦ هـ »[1] ومن المؤلفين ، وأمثال محمد بن إسحاق صاحب السيرة المعروف ، وحامل طريقة أهل المدينة في كتابة السيرة إلى أهل العراق . وأمثال هؤلاء ممن قد يخرجنا البحث عنهم عن الاستمرار في وحدة الموضوع .

واقتبس من كتب « سيف » عدد من المؤرخين ، منهم ، نصر بن مزاحم المنقري المتوفى سنة (٢١٢) للهجرة ، صاحب كتاب « وقعة صفين »[2] والطبري أبو جعفر محمد بن جرير ، في « أخبار الردة » والظاهر أنه استعان بكتاب « سيف » بالذات كالذي يفهم من قول الطبري « حكى الطبري عن سيف في كتابه عن أبي عثمان . . . . »[3] . أو « ذكر سيف عن أبي الزهراء القشيري عن رجل من بني قشير . . . »[4] ومن عادة الطبري استعمال مثل هذه العبارات عند النقل من الكتب ، وإلا فيذكر الهنده إلا في الحوادث التي وقعت في أيامه أو في أيام ليست بعيدة عنه . واستعان الطبري بكتاب آخر من كتب سيف هو « كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي »[5] وقد أخذ سيف أقواله من مظانها الأصلية ، ومثل شهود عيان شهدوا المعارك ، أو تقاة سموا من الشهود الثقات ، وقد ذكرت أسماء قسم منهم في مواضعه من تاريخ الطبري ، في القطع التي انتزعها من ذلك الكتاب . فحفظ لنا « ابن جرير » بذلك نماذج من هذا المرجع القيم المفقود . ولعل له كتاباً في معركة « صفين » هو الكتاب الذي نقل منه « نصر بن مزاحم » في بعض الأماكن من كتابه « وقعة صفين »

ورد إسم « سيف بن عمر » في أكثر من « ٣٠٠ » موضع من تاريخ الطبري ، ورد لأول مرة في حوادث سنة « ١٠ » للهجرة[6] وهي السنة التي بدأ مسيلمة فيها بادعاء النبوة في حياة الرسول[7] . وورد إسمه لآخر مرة في حوادث سنة « ٣٦ » للهجرة وفي ابتداء علي بن أبي طالب بالخروج إلى صفين . ثم تنتهي أخبار سيف عند هذا الحد وتنقطع . فهل يعني هذا أن صاحبنا لم يشتغل إلا في الردة ومعركة الجمل ؟

يحدثنا ابن النديم عن سيف فيقول : أحد أصحاب السير والأحداث وله من الكتب ، كتاب الفتوح الكبير والردة ، كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي ، وروى سيف عن شعيب ابن ابراهيم . »[1] فيظهر من كلام ابن النديم أنه كان صاحب مؤلف كبير في الفتوح يظهر أنه فقد مع الأسف ، ولعل لعددا من المؤلفات الأخرى لم يصل خبرها إلى مسامع ابن النديم .

وأخذ الطبري أخبار « سيف » عن طريق آخر هو طريق شيخه « السري » الذي ورد اسمه في « ٢٤١ » موضعاً من تاريخ الطبري . ورد لأول مرة في أخبار الردة[2] ، وورد لآخر مرة في حوادث سنة ١٤٥ للهجرة ، في معرض الكلام عن تأسيس مدينة بغداد[3] . والسري الذي يقصده الطبري هو : السري بن يحيى[4] من رواة شعيب بن ابراهيم الكوفي راوية كتب سيف بن عمر . وقد قال ابن حجر العسقلاني عن شعيب ابن ابراهيم فيه جهالة ، ليس بالمعروف وله أحاديث وأخبار وفيه بعض النكرة[5] ولا نعرف من أمرهما مع الأسف شيئاً مع كثرة ورود اسميهما في تاريخ الطبري .

لم يكن سيف بن عمر راوية شعيب بن ابراهيم كما ورد ذلك في كتاب الفهرست لابن النديم[6] وفي كتاب « ميزان الاعتدال » للذهبي[7] المتوفى سنة ٧٤٨ للهجرة . والصحيح هو العكس . فقد كان شعيب بن ابراهيم راوية كتب سيف ، وقد صرح بذلك ابن حجر العسقلاني في كتابه « لسان الميزان »[8] . كما أن الطبري نفسه يفند رأي الفهرست وميزان الاعتدال في جميع المواضع التي وردت فيها أخبار سيف حيث يقول مثلاً « وحدثني

(١) تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ١٨٠
(٢) ص ٨ ، ٩ ، ١٢ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .
(٣) الطبري جـ ٤ ص ١٥٣ (الطبعة المصرية) .
(٤) الطبري جـ ٤ ص ١٥٠ .
(٥) الفهرست لابن النديم ص ١٣٧ (الطبعة المصرية) ص ٩٤ طبعة أوربا .
(٦) طبري دورة أول ص ١٧٤٩ (طبعة دي غوية) .
(٧) طبري دورة أول ص ٣٢٥٥ .

(١) الفهرست ص ١٣٧ .
(٢) طبري دورة أول ص ١٧٤٩ .
(٣) ص ٣٢٥٥ .
(٤) طبري طبعة مصر جـ ٤ ص ١٢٤ ، طبعة لايدن دورة أول ص ١١٩٧ .
(٥) لسان الميزان جـ ٣ ص ١٤٥ ، ميزان الاعتدال جـ ١ ص ٤٤٧
(٦) الفهرست ص ١٣٨ .
(٧) ميزان الاعتدال جـ ١ ص ٤٤٧ .
(٨) لسان الميزان جـ ٣ ص ١٤٥ .

بهـذا الحديث السرى عن شعيب بن ابراهيم عن سيف »[1] . أو «حدثنا السرى قال أخبرنا شعيب قال حدثنا سيف»[2] أو «كتب إلى السرى بن يحيى عن شعيب عن سيف»[3] أو «قال أبو جعفر[4] فيما كتب به إلى السرى بن يحيى يذكر عن شعيب بن ابراهيم أنه حدثه عن سيف بن عمر »[5] . فكان شعيب بن ابراهيم إذاً من تلامذة سيف بن عمر ورواته وحامل كتبه والقريبين لديه .

وشعيب بن ابراهيم مثل شيخه لا نعرف من أمره مع الأسف شيئاً ، وقد طعن أصحاب علم الرجال فيه ، وقالوا إن فيه جهالة وفيه بعض النكرة[6] . وهي أقوال قيلت في أكثر الرجال الذين مالوا إلى الأخبار ، وقيلت أقوال أخرى أشد من هذه في أناس أعرف عندنا من سيف ، ومن شعيب ، ومن السرى بن يحيى ، مثل ابن إسحاق صاحب السيرة الشهير[7] ، والواقدى محمد بن عمر المتوفى سنة ٢٠٧ للهجرة[8] . وابن الكلبي ، وفي أناس أرفع من هؤلاء في نظر أهل الحديث مثل عبد الملك بن جريج[9] . فلا غرابة إذا رأينا كتب الرجال وهي تجرح هؤلاء : السرى بن يحيى وشعيب بن ابراهيم وشيخه سيف بن عمر . وسبب ذلك على ما يظهر اشتغالهم برواية الأخبار . وقد كان الاشتغال بهذا الفرع في القرنين الأولين من الأمور التي لا ترفع من شأن الرجل في نظر المحدثين .

وتتصل رواية الطبرى من سيف بن عمر بطريق آخر : طريق عبيد الله بن سعيد الزهرى المتوفى سنة ٢٦٠ للهجرة[10] . وقد ورد اسمه في « ٤٠٠ » موضع من تاريخ الطبرى[11] . وقد نقل روايات « سيف » عن عمه يعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهرى نزيل بغداد المتوفى سنة ٢٠٨ للهجرة[1] وكان من رواة « سيف » وكان من رجال الحديث ، كما كان من رجال التاريخ والأدب . وقد ورد اسمه في « ٣٩ » موضعاً من تاريخ الطبرى ورد لأول مرة في حوادث سنة « ١٠ » للهجرة في خبر حجة الوداع ومرض الرسول[2] . وقد نقل خبره عن سيف . ويظهر من هذا الموضع ومن مواضع أخرى أنه كان لسيف كتب أخرى في السيرة وفي الأحداث الأخرى . وربما لم تلق رواجاً ، أو حدث لها ما سبب فقدانها فلم يصل خبرها إلى ابن النديم وغير ابن النديم .

واعتمد الطبرى في فصل الفتوح على كتاب سيف كذلك ، وقد أخذ الفتن من « السرى بن يحيى » في الغالب ، واعتمد عليه في أخبار الفتن التي قامت على عثمان مثل فتنة « عبد الله بن سبأ » التي أظهرها في البصرة عام « ٣٣ » للهجرة . وقد نقل سيف روايته عن « عطية بن الحارث أبو روق الهمداني من كبار رواة الأخبار في الكوفة ومن مشاهير المفسرين . وهو من رواة عكرمة والضحاك بن مزاحم[3] . وقد ورد اسمه في « ٤٦ » موضعاً من تاريخ الطبرى[4] وقد أخذ أبو روق أخباره عن عبد الله بن سبأ وخبره مع أبي ذر الغفارى ، ومراسلات ابن سبأ مع زعماء الفتنة من شخص آخر هو يزيد بن الفقعسى ، وورد اسمه « يزيد » في « ٥ » مواضع من تاريخ الطبرى كلها في حوادث أيام عثمان وعلي[5] . ومن هـذا المصدر أخذ أكثر أهل الأخبار رواياتهم من عبد الله بن سبأ وفتنته في أيام عثمان وعلي . ولذلك يجب الانتباه إلى ذلك عند تدوين هذا الحادث والتعمق في البحث

وقد ذكر الطبرى أسماء مشايخ « سيف بن عمر » في المواضع التي أورد فيها قطعاً من كتب (سيف) أو رواياته ، وهي تفيدنا بالطبع في معرفة أساتذة هذا الراوية من جهة ، وفي معرفة الرواة الذين كانوا يتعاطون رواية الأخبار في ذلك الوقت من جهة أخرى ؛ وبينهم عدد يظهر أنهم كانوا من أنشط الأخباريين في ذلك العهد ربما تحدثت عنهم في فرصة أخرى إذا طال بنا العمر .

الدكتور جواد علي

(١) الطبرى ج ٣ ص ٢١٤ (المطبعة الحسينية) ومواضع متعددة .
(٢) الطبرى ج ٣ ص ٢١٥ ومواضع أخرى .
(٣) الطبرى ج ٣ ص ٢٤١ .
(٤) يعني الطبرى نفسه .
(٥) الطبرى ج ٣ ص ٢٤١ .
(٦) لسان الميزان ج ٣ ص ١٤٥ .
(٧) راجع رأى الإمام مالك فيه تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤١ ، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٤ ، الفهرست ص ١٣٦ .
(٨) تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٦٤ . تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣١٨
(٩) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦١ ، تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٠٤
(١٠) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٥ ، عبيد الله بن سعد بن ابراهيم بن سعد الزهرى » في طبعة لايدن وفي الطبعة المصرية « سعيد » .
(١١) راجع فهرست الطبرى ص ٣٦٧ (طبعة لايدن) .

(١) تهذيب تهذيب ج ١١ ص ٣٨٠ .
(٢) طـبرى دورة أول ص ١٧٤٩ ، ١٧٩٤ ، ٢٨٧٤ ، ١٨٢٥ ومواضع أخرى .
(٣) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٢٤ .
(٤) فهرست الطبرى ص ١٩٨ .
(٥) طبرى دورة أول ص ٢٨٤٩ ، ٨٠٨ ، ٢٩٢٢ ، ٢٩٤٣ .

مكانة الدين فى التعليم

للدكتور السيد محمد يوسف الهندى

بمناسبة ما كتبه أخيراً الأستاذ عباس خضر عن مكانة الدين فى التعليم ألفت نظر القراء إلى ملاحظات الكاتب الإنجليزى كنت رشمند Kenneth Richmond فإنه يقول فى معرض الكلام عن الاتجاهات الجديدة (وهى ضد ذلك النوع من « التقدم » الذى يحاول أمثال سلامة موسى أن ينتحلوه لأنفسهم عفواً بلا كد ولا تعب) فى ميدان التعليم بانجلترا ما يلخص بأن ظروف الحرب العالمية الأخيرة — مثل إختفاء الفوارق بين الطبقات فى الخنادق والساهمة فى التضحيات على السواء ، والإقبال على الخدمات الاجتماعية ، وضرورة الارتجال فى كثير من الأمور — أثارت فى الشعب شعوراً قويا بجعل التعليم جماعيا بعد ما كان إلى ما قبل الحرب فرديا . ومعنى ذلك أن الفرد سيربى تربية تبعثه على الاهتمام بمصالح الشعب كله بعد ما كان يسود قصر ذلك الاهتمام على مصلحة ذاته ، وبعبارة أخرى ستبذل من الآن محاولة للابقاء على عواطف الأفراد ومشاعرهم نحو الجماعة أو الشعب فى حالة السلم على ما كانت هى عليه إبان الحرب وأمام خطر الفناء المشترك . ولنضرب لذلك مثلا ، فإن الفرق دقيق ويتعلق بالروح أكثر مما يتعلق بالشكل : من المعروف أن كليات العلوم والهندسة فى انجلترا كانت قد تحولت أيام الحرب إلى مصانع للقنابل والعتاد الحربى ، كما أن المصانع كانت قد أنشأت فصولا لتدريب فئات مختلفة من الشبان الجدد فى الصناعات المختلفة ، وكان المنخرطون فى هذه الصفوف طلابا ناشئين للعلم ؛ وكانوا فى الوقت نفسه يقومون مقام العمال المتمرنين يدفع لهم بعض الأجر ، ولكن الطالب كان يشتغل لا ليكتسب لنفسه ويهيىء سبيل العيش لذاته ، بل إنما كان ذلك مساهمة منه فى المجهود القوى للدفاع عن الشعب بأسره . وكان يكتنف العمل من أوله إلى آخره جو من الحقيقة والواقعية والحماس وإخلاص النية جعل التعليم أسرع وأنفذ وأنجع بكثير من إلقاء المحاضرات وتجريع الدروس فى المعامل التجريبية .

كان من الطبيعى إذاً أن يتجه المسئولون عن سياسة التعليم ، غير المصابين بمركب النقص الذى يحدو المرء إلى محاكاة التقدم الزائف ، إلى التساؤل : هل يمكن أن تستمر هذه الروح الجماعية السليمة القوية تسود معاهد التعليم بعد أن انتهت الحرب وزال الخطر ؟ وكان الجواب : نعم بشرط أن يكون هناك مقصد عال وسوى واضح يوضع موضع الانتصار على هتلر وأعوانه . وهل تصور أن يتألف هذا المقصد السلمى القائم إلا من قيم روحية وأخلاقية إنسانية ذات منفعة عالية يجد الفرد فى تنميتها وتشييدها ما كان يجد فى إمداد القوى المحاربة وتعزيز الدفاع ضد العدو ؟ ثم هناك مسألة أخرى وهى : هل يمكن أن توجد وتقوى وتزدهر القيم الروحية والأخلاقية مجردة عن نظام دينى ؟ مهما يقل القائلون فى هذا الصدد فإنه يكفينا فى هذا المقام أن المفكرين فى انجلترا رأوا أن لا مندى لهم عن الارتكاز على الدين (لا استغلاله كما نفعل نحن فى بعض المناسبات) ولذلك وضعوا للدين مكانا محترما ممتازاً فى مشروع قانون التعليم لسنة ١٩٤٤ م . ولكن هناك بعض الناس يخيل إليهم أن القيم الإنسانية إذا اقترنت بالإسلام فهى لابد أن تتحول « طائفية » أرى أن الانصراف عن إقناع هؤلاء الناس أولى من الرد عليهم .

وهكذا مر التعليم بأربعة أدوار مختلفة ؛ فإنه كان فى الأول يقتصر على نقل بعض المعلومات إلى ذهن الطالب . ثم اتسع نطاقه حتى شمل الجسم السليم مع العقل السليم ؛ وبعد ذلك أشاروا بإبراز شخصية الطالب وتنمية قواه الكامنة فحسب ، حتى انتهى بهم المطاف فى الوقت الحاضر إلى إدماج تلك الشخصية فى المجتمع وضرورة توجيه عواطف وتركيز إهتمامه فى المصالح الجماعية .

والكاتب الإنجليزى المذكور إستطرادات طريفة ، منها أن الولاء للقدور السامية والقيم الأخلاقية من أقوى الضمانات للاقلال من أوقات الفراغ والقضاء على الكسل والبطالة والحد من المرح والهـــزل ؛ وفوق ذلك كله هو الدواء الوحيد لتجنيب الإنسانية ويلات تقدم العلوم والحضارة الآلية التى تؤدى إلى فناء المواساة وعدم المروءة . ولعل من أهم ما استطرد إليه الكاتب مصارحته القول بأن الديمقراطية الحقة لا يمكن أن توجد إلا بالاستناد إلى الدين ؛ وذلك لأن المساواة بين الناس شىء لا وجود له

في العالم الخارجي المحسوس ولا يقره العقل . أو ليست الحقيقة البسيطة الملموسة التي تؤكد نفسها علينا كل لحظة هي استحالة وجود رجلين متساويين في الخلق والمواهب والقدرة ؟ أولا نرى أن الفيلسوف هكسلي لم يكن عندما ادعى من أن يهزأ علنا من تصور "Common man" وحقوق الإنسان الطبيعية ؟ فهل نقتنع بوجوب استبدال أرستقراطية العقل والدهاء بأرستقراطية الحسب والمال ؟ حقا ! لا ينشأ تصور المساواة بين الناس إلا بالنظر إلى علاقتهم جميعا مع خالق الزمان والمكان ومصرف الكون والفساد .

السيد محمد يوسف

غزل أبي فراس*

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

غزل أبي فراس قصير النفس ، لا يكاد يتجاوز ما أنشأه للغزل قصدا البيتين والثلاثة غالبا ، مكتفيا بذلك في التعبير عما ألم به ، من انفعال سريع .

أعرف شاعرنا الحب ؟ أم أن غزله تقليدي لا ينبعث عن حب ولا عاطفة ؟

أرجح أن الشاعر عرف الحب وتأثر به ، بدليل هذه القطع التي نظمها خاصة في النسيب ، ولم يقف عند حد المقدمات التي يفتتح بها بعض قصائده . ولم يكن أبو فراس ممن ينشيء الشعر إلا ترجمة لعاطفة ، وتعبيرا عما في نفسه ، ولكننا نكاد نلمس أن هذا الحب ، ما كان يشغل من هذه النفسية الشاعرة إلا حيزا محدودا صغيرا ، لأن هذا القلب الكبير كان في شغل بكبار الأماني وسامي الآمال ، ولم يدع ذلك منه إلا قراغا يسيرا تشغله هذه العاطفة القوية .

عرف شاعرنا الحب ، ولعل من بادلها تلك العاطفة كانت قريبة له ، وربما كانت جميلة بنت ناصر الدولة ، فإنه أنشأ قصيدة يودع بها بعض أهله ، وقد خرجت تسعى إلى الحج ، وهذه القصيدة تفيض بعواطف حارة متدفقة ، ينم عنها بكاؤه ، ويذكيها في صدره ما امتازت به تلك الفاتنة من غرام بالصون ، وحب للحجاب حتى ليكاد وجهها تخفى معالمه على خدرها ، وها هو ذا يقص علينا حديثه يوم سافرت تلك الحبيبة المصونة ولعلها جميلة :

أشيعه ، والدمع من شدة الأسى   على خده نظم ، وفي نحره نثر
رجعت ، وقلبي في سجاف غبيطه   ولي لفتات نحو هودجه كثر
وفيمن حوى ذاك الحجيج خريدة   لها دون عطف الستر من صونها ستر
وفي الكم كف لا يراها عديلها   وفي الخدر وجه لا يمس به الخدر

وقد سجل في هذه القصيدة شعورا صادقا حيا . وإن شدة شعوره بحيوية تلك الحبيبة ، جعلته يحس كأنها تبعث الحياة فيما يحيط بها ، حتى في النبات والجماد ، فيقول :

فهل عرفت عارفات بزورها   وهل شعرت تلك المشاعر والحجر
أما اخضر من بطنان مكة ما ذوى   أما أعشب الوادي؟ أما أنبت الصخر

وقد أنشأ هذه القصيدة في الغزل خاصة ؛ وهي أطول شعره فيه ، وربما ذاق من هذا الحب ، ما شجاه حينا وأضناه ، حتى صح له أن يقول :

أمنية بالمنزل ، رفقا بقلبه
أيعمل ذا قلب ، ولو أنه صخر ؟
عذيري من اللائي يلمن على الهوى
أما في الهوى لو ذقن طعم الهوى عذر
ومنكرة ما عاينت من شحوبه
ولا عجب ما عاينته ، ولا نكر
وقائلة : ماذا دهاك تعجبا ؟   فقلت لها : يا هذه ، أنت والدهر
أبالبين ، أم بالهجر ، أم بكليهما
تشارك فيما ساءني البين ، والهجر

كان صدق إحساس أبي فراس بالحب ينبوعا لتعبيرات صادقة عن عواطف صادقة ، فهو يخشى على حبيبه أن تمسه العيون بأذاها فيستحلفه أن يرد عليه لثامه :

أيا سافرا ، ورداء الخجل   مقيم بوجنته ، لم يزل
بعيشك ، رد عليك اللثام   أخاف عليك جراح المقل
فما حق حسنك أن يجتلى   ولا حق وجهك أن يحتذل

ويتقبل ظلم حبيبه ، بنفس راضية ، بل متلذذة بهذا الظلم :

وبعض الظالمين وإن تناهى   شهي الظلم مغفور الذنوب

(*) من كتاب « شاعر بني حمدان » الذي يظهر في هذا الأسبوع

ويقر أنه مذنب، وإن لم يجن ذنبا، ويتوب عن إثم لم يقترفه

أقر له بالذنب، والذنب ذنبه ... ويزعم أني ظالم فأتوب
ويقصدني بالهجر علما بأنه ... إلي، على ما كان منه، حبيب

ويجد في الهجر القصير الأجل لذة تجدد الحب:

إنما يحسن التهاجر يوما ... فإذا كان دائما فقبيح
كل هجر يدوم يوما إلى الليـ ... ـل، ويفنى، فذاك هجر مليح

ويتخيل حبيبه وقد غاب عنه، فيصوره في شعره، ويتساءل: أينساه وقد غاب عنه:

وبالدارين إنسان ... له في القلب داران
إذا ما ماس في القر ... طق، يسبي بين أخدان
رأيت البدر غديا ... ن، على غصن من البان
وخدا يجتني الور ... د، به، في كل إبان
ألا ياصاحبي رحـ ... ـلي، بالله أجيباني
ترى من لست أنساه ... على الحالات ينساني

ويتحمل إدلاله ويحفظ عهده، لأنه ليس له عنه معدى ولا متحول:

نبوة الإدلال ليست ... عندنا ذنبا يعد
قل لمن ليس له عهـ ... ـد: لنا عهد، وعقد
جملة تغني عن التفصيل: ... مالي عنك بد
إن تغيرت فما غيـ ... ـر منا لك عهد

ويقبل ذلة الحب برغم أنه أمير من بيت الملك:

وباخلة أنالتني قليلا ... وقد يرضى القليل من البخيل
قنعت به، وكنت أظن أني ... عزوف النفس عن نيل قليل
ولكني وجدت الحب يكسو ... عزيز القوم أثواب الذليل

وما كان يرى ذل الحب إلا عزاً:

بنفسي التي أخفت مخافة أهلها ... وداعي، وأبدت حين أبدت لنا رمزا
فلم أر مقتولين: مثلي ومثلها ... أذلا، وإن كانا لعمر الهوى عزا

ويستسلم للحب وإن قوبل بالجفاء:

وكنى الرسول عن الجواب تظرفا ... ولئن كنى، فلقد علمنا ما عنى
قل يارسول، ولا تحاش، فإنه ... لابد منه، أساءني، أم أحسنا
الذنب لي فيما جناه، لأنني ... مكنته من مهجتي، فتمكنا

ولكنه يثور على الحب إذا كان فيه غدر وخيانة:

الآن حين عرفت رشدي، واقتديت على حذر
ونهيت نفسي فانتهت، وزجرت قلبي فازدجر
ولقد أقام على الضلالة، ثم أذعن واستقر
الحب فيه مذلة، إلا على الرجل الذكر
هيهات، لست أبا فراس، إن وفيت لمن غدر

وتلك ثورة نفسية، تدرك المحب إذا رأى الغدر ممن يحب.

هذا، وأرجح أن الحب الذي كان بينه وبين قريبته كان حبا طاهراً عفيفاً، تحوطه شدة الصيانة من جانب الحبيبة. وأغلب الظن أن هذه الليالي التي غلب الخمر فيها عقل من يهوى، والتي يصف واحدة منها بقوله:

وزيارة من غير وعد ... في ليلة طرقت بسعد
بات الحبيب إلى الصباح ... معانقي، خدا لخد
يختار في وناظري ... ماشئت من خمر وورد
قد كان مولاي الأجل ... فصيرته الراح عبدي
ليست بأول منة ... مشكورة للراح عندي

لم تكن مع هذه القريبة المحتشمة.

وقد ذكرنا أن أبا فراس قد أخذ بنصيب من اللهو، ولعله كان يرى أن الحب لا يحول بينه وبين المتعة، إذا ظفر بها.

ومن مجموعة شعر أبي فراس نستطيع أن نرسم صورة للمرأة المثالية عنده، فهي البيضاء، المتوردة الخد، الفاترة الجفن، ذات الشعر الفاحم، الممشوقة القد، الناهدة الصدر، الهيفاء الخصر، في غير هزال.

وتغزل أبو فراس بالغلمان كذلك؛ وإن هذا الداء الوبيل قد وجد سبيله إلى قلب شاعرنا؛ وكانت البيئة التي عاش فيها تساعد عليه؛ فقد كان أميره ومثله الأعلى سيف الدولة يعشق غلاما تركيا اسمه يماك.

تغزل أبو فراس في غلمانه، وترك من هذا الغزل مقطوعات قصيرة كذلك، وبعضها يفيض بالرقة والحنان، يقول:

الورد في وجنتيه ... والسحر في مقلتيه
وإن عصاني لساني ... فالقلب طوع يديه
يا ظالما لست أدري ... أدعو له، أم عليه

واسم هذا الغلام منصور، وله غلمان آخر، وإن كان لمنصور الغلب على قلب الشاعر. ولسنا ندري جنسيته على وجه التحقيق، ولا إن كان هو المقصود بتلك الأبيات التي يتغزل فيها بمملوك فارسي، وقد استغل الشاعر فيها معركة ذي قار، التي كانت لقبائل

العرب زمن بيتها تغلب قبيلة الشاعر على الفرس ، وقد أحسن هذا الاستغلال حين قال :

بأبي شادن ، بديع الجمال   أعجمي الهوى ، فصيح الدلال
سل سيف الهوى على ، ونادى   يا لثأر الأعمام والأخوال
كيف أرجو ممن يرى الثأر عندى   خلفاً من تعطف ووصال
ما درت أسرتي بذي قار أني   بعض من جدلوا من الأبطال
أيها اللائمي جرائر قومي   بعد ما قد مضت عليها الليالي
« لم أكن من جناتها علم الله ، وإني بحرها اليوم صالي »

ولأبي فراس ، غير هذا الغزل الحقيق ، غزل تقليدي يفتتح به قصائده ، ولا يريد به غالباً التعبير عن عواطف تجيش في نفسه . وهو في هـذا الغزل يتشبه بالأقدمين في وقوفهم على الديار ، وسؤالهم الأطلال :

على لربع العـــامرية وقفة   يملي على الشوق والدمع كاتب
فلا ، وأبي العشاق ، ما أنا عاشق   إذا هي لم تلعب بصبرى الملاعب
ومن مذهبي حب الديار لأهلها   وللناس فيما يعشقون مذاهب

وفي هذا الغزل التقليدي يبدو الضعف ، والمغالاة والصناعة اللفظية ، وتـكرير المعاني المألوفة ، ولا تحس بروح الغزل القوية المتدفقة ، وأي قوة في قوله :

قلوب فيك داميـــة الجراح   وأكباد مكلمـــة النواحي
وحزن لا نفاد له ، ودمع   يلاحى في الصبابة كل لاح
أتدرى ما أروح به ، وأغدو   فتاة الحي : حي بني رياح
ألا يا هذه ، هل من مقيل   لضيفان الصبابة أو مراح

وترى التشبيهات المتداولة بالشمس والغزالة والأقحوان ، كما تلحظ في هذا الغزل أيضاً التناقض ، وعدم الوقوف عند المعقول . تجد هذا التناقض في قوله :

إن الحبيب الذي هام الفؤاد به   ينام عن طول ليل ، أنت ساهره
ما أنس لا أنس يوم البين موقفنا   والشوق ينهى البكا عنى ، ويأمره
وقولها ، ودموع العين واكفة   « هذا الفراق الذي كنا نحاذره »

حبيب تكف دموعه ويحذر الفراق ، لا ينام عن طول ليل يسهره صاحبه . ويبدو البعد عن حدود المعقول في قوله :

تسائلني من أنت ؟ وهي عليمة   وهل بفتى مثلي على حاله نـكر
فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى   قتيلك ، قالت : أيهم فهم كثر

ووجه الغرابة في هذا أن الشاعر قد أخبرنا في هذه القصيدة عينها أنها قد وعدته بالوصل ، وأنه أحب البدو من أجل حبها ، وحارب قومه في سبيل هواها ، ولا يعقل بعد ذلك أن تجهله الحبيبة ولا تدرى من هو ؟ وهي التي يقول فيهـــا :

معللتي بالوصل ، والموت دونه   إذا مت ظمآنا فلا نزل القطر
بدوت ، وأهلي حاضرون ، لأنني   أرى أن داراً لست من أهلها قفر
وحاربت قومي في هواك ، وإنهم   وإياي ـ لولا حبك ـ الماء والخمر

نلحظ في غزل أبي فراس ، سواء الحقيق منه والتقليدي ، أنه غزل فارس ، نلمس فيه روح الفتوة ، ونجد منثوراً بين أبياته لغة الفرسان المحاربين ، ويأخذ من هذه اللغة تشبيهاته واستعاراته ، فتسمعه يقول :

أغرن على قلبي بخيل من الهوى   فطارد عنهن الغزال المغـــازل
بأسهم لفظ لم تركب نصـــالها   وأسياف لحظ ، ما جلتها الصياقل
وقائع قتلى الحب فيها كثيرة   ولم يشتهر سيف ، ولا هز ذابل
أراميتى ، كل السهام مصيبة   وأنت لي الرامي ، فكلي مقاتل

ويقول متعجباً كيف يمد حبيبه جيش سقامه بالهجر ، فينصره :

بالله ربك ، لم فتنت بصبره   ونصرت بالهجران جيش سقامه

وفي سبيل طاعة الحب ، قد استشهد الصبر والسلو :

مالي بكتمان هوى شادن   عيني له عون على القلب
عرضت صبرى وسلوى له   فاستشهدا في طاعة الحب

ويشبه طرة من يحب بالورد المضاعف :

ومرتد بطـــرة   مصدولة الزفارف
كأنهـــا سبلة   من زرد مضاعف

أبو فراس حين يجعل الغزل مقدمة لأغراض أخرى ، يجتهد غالباً في أن يجعل روح الغزل مناسبة لروح الموضوع الذي يقصد إليه ، وهل أنسب من هذا الغزل العاتب بيتاً بعتابه لسيف الدولة :

أما لجميل عندكن ثواب   ولا لمسيء عندكن متاب

أو أنسب من البدء بإهداء التحية لمن يحبها ، في قصيدة يحيي بها إخوانه في الموصل ، إذ يقول :

سلام ، رائح ، غادى   على ساكنة الوادى

أو من البدء بهذا الغزل الحزين ، الذي يشكو الفراق في قصيدة أرسلها إلى أخيه ، وهو أسير :

فديتك إني للصبابة صاحب   وللنوم مذ زال الخليط مجانب
وما أدعي أن الخطوب تخيفني   لقد خبرتني بالفراق النواعب

ولكن الشاعر في أغلب الأحيان ، ما كان يحسن التخلص من الغزل إلى الغرض المقصود ؛ بل كان انتقاله مفاجئاً ، وهو

فى ذلك يشبه البحترى زعيم شعراء الشام . فها هو ذا — مثلا — يتغزل ، ويختم غزله بقوله :

وقد هاديت ضوء الصبح حتى لطارف عن مطالعه ازورار

ثم ينتقل إلى الفخر قائلا من غير أن يحسن التخلص :

ومضطغن يراود فى عيبا سيلقـاه إذا سكنت وبار

وفى بعض الأحيان يحسن التخلص ، كما فى تلك القصيدة التى بعث بها إلى ابن عمه أبى زهير ، وفيها يقول :

يا أخى يا أبا زهير ، ألى عندك عون على الغزال الغرير ؟ !

لم تزل مشتكاى فى كل أمر ومغيثى ، وعمدتى ، ومشيرى

وهكذا يمضى فى حديث ابن عمه

وقبل أن أختم الحديث عن غزله ، أشير إلى ما يبدو فى هذا الغزل حينا ، من شعور أبى فراس بنفسه محبوبا ، وأنه ليس شخصا عاديا ، ولكنه محب جدير أن يقابل بغبطة من يحبه ، وأن يضم عليه بالنواجذ ، فتسمعه يقول .

أجل يا أم عمر زادك الله جمالا

لا تبيعى برخص إن فى مثلى يغالى

بل لقد تدلل مرة على من يحب ، حتى شكته إلى إحدى جاراتها :

قامت إلى جارتها تشكو بذل وشجا :

أما ترين ذا الفتى مر بنا ما عرجا .

إن كان ما ذاق الهوى فلا نجوت إن نجا

وليس ببعيد أن تعجب بأمير وسيم مثله ، بعض أولئك الجميلات اللاتى كن يرينه فى غدواته وروحاته .

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم

الخطـــر اليهودي

بروتوكولات شيوخ صهيون العلماء

[إلى أستاذي الجليلين العقاد والزيات والأستاذ الفاضل نقولا الحداد أهدي هذه الصفحات] .

م . خ . التونسي

أما قبل ، فقد لاحت في أفق السياسة الدولية نذر اعتزام اليهود إنفاذ خططهم التي دبروها لتأسيس دولتهم في فلسطين — عمدت أكثر الصحف العربية إلى نشر مقالات ونبذ تفضح فيها نيات اليهود ومؤامراتهم وأغراضهم القريبة والبعيدة من إنشاء دولتهم ، وتفند حججهم في استحقاقهم تأسيسها في فلسطين .

وخير ما كتب في هذا المجال ويعد دراسات علمية صحيحة للمقالات التي كتبها الأستاذان الكبيران عباس محمود العقاد ونقولا الحداد ، وقد نهضت بالعبء الأكبر في ذلك « الرسالة » مجلة العروبة القائمة على نشر ثمرات عقولها ، الموثقة بين شعوبها ، الزائدة عن كيانها وكرامتها ، وقد كانت من الصحف التي عجز اليهود عن اصطناعها أو إسكاتها كطريقتهم مع الصحف وأصحابها وكتابها مما يعلمه قليل ويجهله كثير .

فأما الأستاذ العقاد فقد عقد على صفحات « الرسالة » وصفحات « الأساس » فصولا للكشف عن العقلية اليهودية والخلق اليهودي منذ موسى حتى الآن مستشهداً بأقوال العهد القديم وأحداثه وما تلاه من حوادثهم ، وبين الصلة بين الصهيونية والشيوعية ، وبينهما وبين اليهود وبعض التيارات الحاضرة التي تسعى إلى تخريب العالم وتسلط اليهود على البشرية .

وأما الأستاذ نقولا الحداد فقد قام بمثل ذلك وأفاض فيه كما أفاض في بيان الصلة بين اليهود والماسونية والشيوعية ، واستشهد لذلك بنصوص العهد القديم والتلمود وكتاب ثالث لم يشر إليه غيره مع خطره البالغ في التعريف بهم وبمؤامراتهم وسياستهم إزاء العالم أجمع ولاسيما الأمم المسيحية ، لأن الشعوب التي تعتنقها هي الشعوب التي في أيديها مقاليد حكم البشر ، وهذا الكتاب الثالث هو : « بروتوكولات شيوخ صهيون العلماء » Protocols of the Learned Elders of Zion. وهو كتاب يفضح ما لا يفضحه كتاب آخر من سوء نياتهم وفظاعة خططهم لتخريب العالم وإفساد نظمه وآدابه وقيمه توصلا إلى إقامة مملكة يهودية أو تفراطية لحكم العالم جميعاً يجلس على عرشها ملك من نسل داود .

وكانت النصوص التي نقلها الأستاذ الحداد خلال مقالاته كثيرة ، وكانت تمهيداته لها وتعليقاته عليها كثيرة أيضاً جليلة النفع ، عظيمة الطرافة لدى قراء العربية .

وقد كانت أحد الأسباب المباشرة التي حفزتني على ترجمة الكتاب كله إلى العربية بعدها أسباب كثيرة مباشرة وغير مباشرة حفزتني على ترجمته ، فلما أطلعت أستاذي الكبير الزيات على رغبتي في نشر الترجمة تحقيقاً للغرض الذي أنشده وهو تعريف قومي بما يدبر اليهود من مؤامرات لتخريب العالم وبخاصة بعد أن صاروا إلى جوارنا يتهددوننا بطرق مباشرة وغير مباشرة — لما أطلعته على ذلك قبل مشكوراً نشر ما تيسر منها على صفحات مجلته الزاهرة .

وأما بعد فهذه البروتوكولات منشورة أمام القراء وإني لأرجو أن يتبينوا آثار خططها في سياسات العالم جميعاً ، وأن يعزوا شواهدها فيما مر ، وما يمر ، عليهم من أحداث ، وفيمن يصادفهم من منافقيها ، وكثير ما هم بين الرجال والنساء .

وألفت النظر إلى أن كل محاولة لتلخيص البروتوكولات محاولة يتراءى فيها أكثر مما تهدي ، وإنه لن الخير أن تقرأها جميعاً ، فكل فقرة بل فصل فيها لا يدل على أكثر مما فيه لا على ما في المواثيق كلها ، ولا على خلاصتها ، وهي أحوج ما تكون إلى درسها وتوضيح شواهدها فيمن يمرون علينا وما يمر علينا ، وتعرف اتجاهاتها بدقة وسداد . وهي تدل على خطة واسعة شاملة تتضمن آلاف الخطط في كل نشاط بشري لتخريب العالم .

وهي تدل على معرفة صحيحة بالمجتمع البشري وما فيه من ضعف ، ووسائل استغلال كل قوة وضعف فيه ، ولا تنحرف إلا عندما يعميها الغرض فتفوتها أشياء تجري تحت عينيها ، ولولا إغراضها لما خفيت على ذكائها النفاذ وملاحظتها الدقيقة ، وهي من أجل ذلك تدرك من المرئة شيئاً صحيحاً وتفوتها أشياء ، ويصدق عليها قول أبي نواس الشاعر في النظام الفيلسوف المتكلم .

«فقل لمن يدعي في العلم فلسفة ... حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء»

وهي تدعي أكثر ما تدعي بتبين نواحي الضعف البشري، وتعمل على استغلاله إلى أقصى الحدود، متجاهلة، أو جاهلة، نواحي القوة البشرية، فترسم الخطة وكأن كل النواميس البشرية عدا النواميس المتمشية مع أهدافها — قد تعطلت بفعل ساحر، ومن أجل ذلك كثر إيغالها في الأحلام التي تدل على التت الذي ينوء باحتماله أي قلب من لحم ودم ولو كان قلب وحش كاسر، ولكن تلك الأحلام لا تدل من أي وجه على إمكان تحقيق شيء جدي منها. ولذلك ألفت النظر إلى أن فيها كثيراً من المبالغات الدجلية الخادعة التي لا يمكن تحقق شيء منها، وخير ما نقابل به تلك المبالغات هو معرفة زيفها والثبات أمامها، إذ ما من خطر حقيقي لها إلا التهويل الكاذب لإضعاف العزائم، ونشر الفزع والرعب لتهويش المجتمع، كي يتوهم لليهود ما ليس لهم من القوة والنفوذ، أو يغفل عما لهم من القوة والنفوذ في الحقيقة.

* * *

ولقد كانت هذه البروتوكولات من أسرار اليهود التي يحرصون على إخفائها أشد الحرص، ثم افتضح أمرها منذ نصف قرن تقريبا إذ وصل خبرها إلى أحد وجوه الروس في عهد القيصرية وهو سرجي نيلوس Sergyei Nilus وهي مكتوبة بالروسية، فقام بطبعها في سنة ١٩٠٥ وكتب لها مقدمة وتعقيبا لابد من قراءتهما لما فيهما من فوائد جليلة، ويحملنا ضيق المقام هنا على القناعة بمقتبسات ملخصة من المقدمة نعرف منها كيف تأدت إليه وماذا صنع بها. فقد ذكر أن صديقا دفعها إليه قبل وفاته سنة ١٩٠١، وأكد له أنها ترجمة صحيحة لأوراق مخطوطة سرقتها سيدة من أحد رءوس الماسونيين الأحرار في نهاية اجتماع ماسوني عقد في باريس، وقد تمت السرقة في فرنسا في خلية من خلايا الماسونية اليهودية (الخاصة باليهود).

وقد نشر الأستاذ نيلوس هذه الوثائق الخطية في سنة ١٩٠٥ مطبوعة بعنوان «بروتوكولات شيوخ صهيون» وأشار إلى أنها ليست بالدقة نصوص محاضر الاجتماعات السرية التي عقدها هؤلاء الشيوخ، بل إنها تقرير وضعه شخص قوي وقسمه أقساما لا تطرد منطقيا على الدوام، وهي بذلك تبعث على الظن بأنها جزء منتزع من وثيقة أهم قد ضاعت بعض فقره، بيد أن أصل الوثيقة يتكلم عن نفسه في هذا الجزء.

ويسلم الأستاذ نيلوس بالعجز عن الحصول على دليل كتابي أو شفوي على صحة هذه المؤامرة أو على شيء يكشف زعماءها متلبسين بإمساك خيوطها المموهة، ويكتفي بشواهد الملابسات والقرائن القوية التي تكفي للإقناع «من لهم آذان للسمع» ومن يلتمس من الظروف الجارية في العالم؛ وفيها مقنع لكل باحث حازم.

وبعد عام من طبع البروتوكولات بالروسية (١٩٠٥) وصلت نسخة مطبوعة إلى المتحف البريطاني فكتب عليها قيد تسلمها وتاريخه وهو ١٠ أغسطس سنة ١٩٠٦. وبقيت هذه النسخة في المتحف دون أن ينتبه أحد إليها أو يعرف خطرها حتى عثر عليها الأستاذ فكتور مارسدن مراسل جريدة «المورننج بوست» في روسيا خلال الحرب العالمية الأولى التي وقع خلالها الانقلاب الروسي الذي مكن الشيوعيين من السيطرة على روسيا، وكان لليهود نصيب عظيم في تدبير هذا الانقلاب وهم الذين استطاعوا أن يتناولوه أسلحتهم قبل غيرها من وراء ستار حينا وجهارا حينا، وحاولوا هناك تطبيق مذهب أخيهم كارل ماركس بالنار والدم، ونجحوا في بسط سلطانهم هناك حتى اليوم، ومن العجيب أن الأستاذ نيلوس تنبأ بهذه المؤامرة اليهودية ضد روسيا — وطنه — في سنة ١٩٠٥ كما أشار إلى ذلك في المقدمة، ومن العجيب أن تشير «البروتوكولات» نفسها إلى محاولة اليهود نشر مذهب ماركس اليهودي المتنصر (انظر الميثاق الثاني).

وكان الأستاذ فكتور مراسل «المورننج بوست» يعرف الروسية، فأكب على ترجمة الكتاب من الروسية إلى الإنجليزية في المتحف نفسه، ثم نشرت جمعية الطباعة البريطانية الترجمة الإنجليزية، وأعادت بعد ذلك طبعها مرات، وهذا الكتاب مجهول حتى بين علية المثقفين.

والكلام الفصل في الشواهد التي تدل على صحة الوثائق وأنها من عمل اليهود — يستغرق عشرات الصفحات، وخير ما كتب باللغة العربية في هذا الصدد مقالات الأستاذ العقاد في الرسالة، وفيها بلاغ (راجع العدد ٧٧١ وما تلاه) ولنا إلى هذا الموضوع عود إن شاء الله بعد أن تصير النصوص في التناول لتسهل المقارنة والاستنباط. فإلى الوثائق لفهمها وتدبرها، ولكل نبأ مستقر.

محمد خليفة التونسي

(البروتوكولات من العدد القادم)

أهل العلم والحكم

في ريف فلسطين

للأستاذ أحمد سامح الخالدي

— ٢ —

أنهارها وبحيراتها

ويصف لنا ياقوت أم أنهارها وبحيراتها وقد زار بحيرة طبرية مراراً ويكشف لنا عن مشروع ري عظيم يجمع بين نهري الأردن واليرموك فتسقى مياهها ضياع الغور والبثنية (وهي الناحية الواقعة على الضفة اليسرى من الأردن بمدجريانه من بحيرة طبرية) كما يذكر لنا زراعة قصب السكر في هذه المنطقة وتصدير السكر إلى سائر بلاد الشرق، ويروي لنا بعض ما قاله الشعراء في هذه الأماكن.

فيقول عن الأردن في (ج ١ — ص ١٨٦) وطبرية على طرف جبل يشرف على هـذه البحيرة، فهذا النهر أعني الأردن الكبير بينه وبين طبرية البحيرة. وأما الأردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيره طبرية ويمر نحو الجنوب في وسط الغور فيسقى ضياع الغور. وأكثر مستغلهم السكر، ومنها يحمل إلى سائر بلاد الشرق وعليه قرى كثيرة منها بَيْسان، وقراوا، وأريحا والسوداء وغير ذلك.

« وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين، ويجتمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهراً واحداً فيسقى ضياع الغور وضياع البثنية ثم يمر حتى يصب في البحيرة المنتنة (البحر الميت) في طرف الغور الغربي (كذا) (الجنوبي).

وقال أبو دهلب أحمد بني ربيعة بن قريع — بن تميم:

حنَّت قلوصي أمس بالأردنِّ ... حنِّي فما ظلَّلت أن تحنِّي
حنَّت بأعلى صوتها المُرِنِّ ... في خرصيد أجش مستجن
فيه كتهزيم نواحي الشنّ

وقال عدي بن الرقاع العاملي:

لولا الإله وأهل الأردن اقتسمت ... نار الجماعة يوم المرج نيرانا

قالوا والأردن في لغة العرب النعاس. قال أبان الزبيري:

وقد علتني نعسة الأردن ... وَمُوهِبٌ مُبْرٍ بها مُصْمِن

والظاهر أن الأردن الشدة والغلبة، فإنه لا معنى لقوله (وقد علتني نعسة الأردن).

وقال المتنبي يمدح بدر بن عمار وكان قد ولي ثغور الأردن والساحل من قبل أبي بكر محمد بن رائق:

تهنا بصور[1] أم نهنئها بكا ... وقل الذي صور وأنت له لكا
وما صغر الأردن والساحل الذي ... حبيت به إلا إلى جنب قدركا
تحاسدت البلدان حتى لو انها ... نفوس لسار الشرق والغرب نحوكا
وأصبح مصر لا تكون أميره ... ولو أنه ذو مقلة وفم بكا

وحدث اليزيدي قال خرجنا مع المأمون في خرجته إلى بلاد الروم فرأيت جارية عربية في هودج، فلما رأتني قالت يا يزيدي أنشدني شعراً قلته حتى أصنع فيه لحناً فأنشدت:

ماذا بقلبي من دوام الخفق ... إذا رأيت لمعان البرق
من قبل الأردن أو دمشق ... لأن من أهوى بذاك الأفق
ذاك الذي يملك مني رقّ ... ولست أبغي ما حييت عتق

قال فتنفست تنفساً ظننت أن ضلوعها قد تقصفت منه، فقلت هذا والله تنفس عاشق. فقالت اسكت ويلك أنا أعشق والله لقد نظرت نظرة مريبة فادعاها من أهل المجلس عشرون رأساً ظريفاً (معجم ياقوت[2] ج ١ — ١٨٥).

وجاء في شذرات الذهب (ج ٦ — ٢٧٣) في حوادث سنة ٧٨٢ هـ أن برقوق أمر ببناء جسر الشريعة (الأردن) بطريق الشام وجاء طوله مئة وعشرين ذراعاً وانتفع الناس به. وفي الشذرات أيضاً (٧ — ص ٧) لما بنى الجسر قال فيه شمس الدين محمد المزين.

بنى سلطاننا للناس جسراً ... بأمر والوجوه له مطيعه
مجازاً في الحقيقة للبرايا ... وأمراً بالسلوك على الشريعة

وفي رواية أخرى بنى سلطاننا برقوق، والأنام بدل الوجوه

(١) كانت صور إحدى ثغور جند الأردن.

(٢) توفي ياقوت (٦٢٦ هـ).

والمرور بدل الملوك .

وعلى الأردن خمسة جسور هي من الشمال إلى الجنوب : جسر بنات يعقوب ، وجسر الجامع ، وجسر الشيخ حسين ، وجسر المنبي ، وهو الذي يوصل طريق القدس بعمان ، وله أكثر من مخاضة يسلكها العرب في غدواتهم .

* * *

أما بحيراتها ، فقد جاء ذكر الحولة ، بأنها كورة بين بانياس وصور وأنها أي ناحية الحولة ذات قرى كثيرة من إحداها كان الحارث الكذاب الذي ادعى النبوة أيام عبد الملك بن مروان وكان هذا من أهل دمشق وكان له أب بالحولة(١) (معجم البلدان ٣ — ٣٦٨) .

ويقول عن بحيرة طبرية أنه رآها مراراً وهي كالبركة يحيط بها الجبل ويصب فيها فضلات أنهر كثيرة تجيء من جهة بانياس ويتصل فيها نهر عظيم فيسق أرض الأردن الأصغر وهو بلاد الغور ويصب في البحيرة المنتنة (البحر الميت) قرب أريحا . ومدينة طبرية في لحف الجبل مشرفة على البحيرة ماؤها عذب شروب ليس بصادق الحلاوة ثقيل، وإياها أراد المتنبي يصف الأسد

أمعفر الليث الهزبر بسوطه   لمن ادخرت الصارم المصقولا
وقعت على الأردن منه بلية   نضدت لها هام الرفاق تلولا
وَرْدٌ إذا ورد البحيرة شارباً   ورد الفرات زئيره والنيلا

(راجع معجم ياقوت ج ٢ — ٨٠) .

أما عن البحر الميت ، أو بحر لوط ، أو زُغَر(٢) كما يسميها فيقول أن زغر اسم بنت لوط ، نزلت بهذه القرية فسميت بها . قال حاتم الطائي :

سقى الله رب الناس سحاً وديمة   جنوب السراة من مآب إلى زُغَر
بلاد امرىء لا يعرف الذم بيته   له المشرب الصافي ولا يطعم الكدر

وقد جاء ذكرها في حديث الجساسة ، وهذه في واد وخم ردىء في أشأم بقعة، إنما يسكنه أهله لأجل الوطن وقد يهيج فيهم في بعض الأعوام مرض فيفنى كل من فيه أو أكثرهم (معجم البلدان ٤ — ٣٩٣) والأرجح أن المرض الذي يشير إليه ياقوت إنما هو الملاريا .

(١) اسم البحيرة واسم الناحية .
(٢) وقد ذكرها باسم البحيرة المنتنة وقال أن رائحتها في غاية النتن لا ينتفع بها في شيء .

أما عن الأنهر الصغيرة فيذكر نهر أبي فطرس أو نهر فطرس (العوجا ، وهو تحريف كلمة انتيباترس Antipaluis وهي المدينة التي ينبع هذا النهر بالقرب منها .) فيقول ياقوت ، موضع قرب الرملة من أرض فلسطين مخرجه من أعين في الجبل المتصل بنابلس ويصب في البحر الملح (البحر المتوسط) بين يدي مدينتي ارسوف ويافا وبه كانت وقعة عبد الله بن العباس مع بني أمية فقتلهم في سنة ١٣٢ هـ ، وهي السنة التي زال فيها ملك الأمويين وقامت فيه دولة بني العباس .

قال ابراهيم مولى قائد العبلي يرثيهم .

أفاض المدامع قتلى كدا   وقتلى بكثوة لم ترمس
وقتلى بوج وباللابتين   بيثرب هم خير ما أنفس
وبالزابيين نفوس ثوت   وأخرى بنهر أبي فطرس
أولئك قوم أناخت بهم   نوائب من زمن متعس
إذا ركبوا زينوا الموكبين   وإن جلسوا زينة المجلس
هم اضرعوني لريب الزمان   وهم ألصقوا الرغم بالمعطس
فما أنس لا أنس قتلاهم   ولا عاش بعدهم من نسي

قال المهلبي وعلى نهر أبي فطرس اوقع أحمد بن طولون بالمعتضد فهزمه . قلت إنما كانت الوقعة بموضع يقال له الطواحين بين المعتضد وخمارويه بن أحمد بن طولون قال وعليه أخذ العزيز هفتكين التركي . وفلت عساكر الشام عليه . وبالقرب منه أوقع القائد فضل بن صالح بأبي تغلب حمدان فقتله ويقال إنه ما التقى عليه عسكران إلا هزم الغربي منها .

وقد ذكر أبو نواس في قصيدته في الخصيب نهر فطرس ولم يضفه إلى كنية فقال .

وأصبحن قد فوّزن من نهر فطرس   وهنّ من البيت المقدس زور
طوالب بالركبان غزة هاشم   وبالفرما من حاجهن شقور

وقال العبلي :

ابكى على فتية رزئتهم   ما إن لهم في الرجال من خلف
نهر أبي فطرس عليهم   وصبحوا الزابيين فالكتف
اشكو من الله ما بليت به   من فقد تلك الوجوه والشرف

راجع معجم البلدان (٨ ج — ٤٣٣) .

وقد ذكر ياقوت اليرموك مع الوديان ، فقال أنه واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن . كانت به حرب بين المسلمين والروم أيام أبي بكر الصديق ، وقدم خالد الشام مدداً لهم. قال القعقاع بن عمر يذكر مسير خالد من العراق إلى الشام :

بدأنا بجمع الصفَّرين لم ندع   لغسان أنفاً فوق تلك المناخر
صبيحة صاح الحارثان ومن به   سوى نفر نجتذّهم بالبواتر
وجئنا إلى بصرى وبصرى مقيمة   فألقت إلينا بالحشا والمعاذر
فضضنا بها أبوابها ثم قابلت   بنا العيش في اليرموك جمع العشائر

ذكر الجبال والوهاد والحصون والمواقع :

(أنظر معجم البلدان ٨ ج — ٥٠٤) :

ذكر ياقوت من الجبال ، جبل الجليل في ساحل الشام يمتد إلى قرب حمص . كان معاوية يحبس في موضع منه من يظفر به ممن يتهم في قتل عثمان . وجبل الجليل بالقرب من دمشق وهو يقبل من الحجاز فما كان بفلسطين منه فهو جبل الحل ، وما كان بالأردن فهو جبل الجليل ، وهو بدمشق لبنان وبحمص سنير(١) قال أبو القيس بن الأسلت .

فلولا ربنا كنا يهوداً   وما دين اليهود بذى شكول
ولولا ربنا كنا نصارى   مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنا خلقنا إذ خلقنا   حنيف ديننا عن كل جيل

قال الحافظ الدمشقي واصل بن جبل أبو بكر السلاماني من بني سلامان الجليلي من جبل الجليل من أعمال صيدا ، وبيروت ، من ساحل دمشق ، حدث عن مجاهد ومكحول وعطاء وطاووس والحسن البصري وروى عنه الأوزاعي . قال يحيى بن معين ، واصل بن جبل مستقيم الحديث ، ولما هرب الأوزاعي من عبدالله بن علي بن عبد الله بن العباس اختبأ عنده وكان الأوزاعي يحمد ضيافته ويقول ما تهنأت بضيافة أحد مثل ما تهنأت بضيافتي عنده ، وكان خبائي في هرى العدس، فإذا كان المساء جاءت الجارية فأخذت من العدس فطبخت ثم جاءتني به فكان لا يتكلف فتهنأت بضيافته . (معجم البلدان ٣ — ١٣١) .

ويصف لنا جبل الطور (طابور) وديره فيقول الطور هو الجبل المشرف ، أما هذا فمستدير واسع الأسفل ، مستدير الرأس لا يتعلق به الجبال ، وليس له إلا طريق واحد وهو ما بين طبرية واللجون مشرف على الغور ومرج اللجون (مرج بني عامر) وفيه عين تنبع بماء غزير وكثير ، والدير في نفس القبلة مبني بالحجر وحوله الكروم يعتصرونها فالشراب عندهم كثير . ويعرف أيضاً بدير التجلي ، والناس يقصدونه من كل موضع فيقيمون به ويشربون فيه . موضعه حسن يشرف على طبرية البحيرة وما والاها على اللجون وفيه يقول مهلهل بن غريب المزروع .

نهضت إلى الطور في فتية   سراع النهوض إلى ما أحب
كرام الجدود حسان الوجوه   كهول العقول شباب اللعب
أنخت الركاب على ديره   وقضيت من حقه ما يجب

(معجم البلدان ٤ — ٢١٢) :

أحمد سالم الخالدي

الكلام بقية

(١) هو القسم المطل من جبال لبنان الشرقية .

المـــــلاح التائه !!

أسلمت بعدك للأسى خاجاتى   يا شاعر الأحلام والصبوات
حمل المساء إلى أىّ فجيعــــة   - لاتميت - وأى خطب عات
يادولة الشعر الرصين .. ترحلت   أعواد عرشك فى ركاب رفات
هجر الخليل اليوم آخر بلبــل   هو أول بعثه الالفات
وأرق من حمل القيثار شاديا   بالحب والأوطان والنزوات
أودى «خليل» الشعر مثل «عليه   «الجارم» المتقن فى الصدحات
وثوى الفداة سميه وضريبه   فى مثل خفق اللمحة المزجاة
من لقريض العبقرى وقدهوت   تلك النجوم النيرة الومضات

ياملهمى الأشعار ، كيف أصوغها   والحزن موف والنشيج موات؟!
غشى الذهول النفس من أقطارها   ترعا .. وبث النار فى طرقاتى
هى زورة لك يا « على » يتيمة   أذكت لهيب الشوق بعد شتات
لم أنس حين لقيتنى متلطفا   وهتفت بى : هات اللاحن هات
وذهبت أستدنى الخيال .. فأجفلت
منك المشاعر .. واستحت خطراتى
وعرضت آلهة الخلود فلم أجد   إلا نشيدك فى فم الربات
فمنيت أتلوها عليك مرانًا   لك يا « على » وشية القسمات
وسمعت شعرك من فى تضممنى   ضم الحق بهـــذه اللفتات
.. هى زورة فى العمر . كانت . مالها
- واحسرة الآمال - من أخوات
لو كنت أشتف القادر بعدها   أسرفت فى الروحات والغدوات

جزت الحياة على شراعك ساربا   فى الجهل الناى .. وفى الغمرات
ترتاد آفاق البحار ... مرجعا   بخوارق الأنغام والنفثات
تلقى شباك الفكر تحت عبابها   فتصيد كل عصية السمكات
يا أيها الملاح ... كيف هجرتها   قبل الأوان . لآخر الضفات !؟
ما كان هذا اليوم موعدك الذى   تلقى الشراع به إلى مرساة
ياليتـه قضى الليالى تائها   من هذه الشطآن والربوات
أولم تفض تلك البحار بمائها   لغدت تفيض اليوم بالعبرات

قم حدث الأجيال عنك . وصف لها
يوم الرحيل ... نهاية الرحلات
حيية الوادى عليك ورزءه   ومناحة الأطيار والزهرات
وصف الردى المتاع .. نازعنا الهوى
فى الهيكل المعمول ... لا النفحات
صف راحلا .. أطربت فى «ميلاده»
سمع الوجود بأعذب النغمات -
أولا . فما أعيى النهى . ولو أنها   كانت نهاك عتية الطاقات
أنت الذى أحضت كل مدلة   وحبيت سحر نائم الملكات
لو قد بعثت إلى الدنى .. غب النوى
وشهدت وقع نواك فى المهجات
أشفقت من هول الذى شاهدته   وقفلت مشدوها إلى الغرفات
آنساك للدنيا .. غداة هجرتها   خسدت عليك شواطئ الجنات

عبد الرحيم عثمان صارو -

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

على محمود طه المهندس والإنسان :

في صباح يوم الجمعة الماضي أمسكت يدان صغيرتان بجريدة الأهرام ، واندفع صاحب اليدين الصغيرتين نحوي وهو يهتف في دهشة : أبي ... أنظر يا أبي ... أليس هذا هو علي طه ؟ هل مات حقا يا أبي ؟! وراحت عينا الصغير تحدقان في الصورة المجللة بالسواد ثم ترتدان إليّ في لهفة المنتظر الذي يريد من فمي جوابا ... يكذب ما رأته عيناه ! ونظرت إلى الفتى الصغير الذي يعلق من نفسه على أبيه وأجبت : نعم يابني ... لقد مات ... ترى ألا تزال تذكره ياصغيري ؟ وقال الصغير وقد غلبه الأسى على أمره : كيف لا أذكره يا أبي ؟ ألم أذهب معكما ذات مساء إلى « الأهرام » ، أنت وتوفيق الحكيم ، وهناك في مكتب الصاوي رأيناه ؟ أليس هو الذي ضمني إلى صدره ، وقبلني ، وقال لي : إذا كبرت يا بني فكن أديبا من طراز عمك ؟ أليس هو يا أبي ... صاحب هذه الصورة ؟! وقلت للصغير دون أن أنظر إليه حتى لا تقع عيناي على الصورة التي بين يديه : بلى يا بني إنه هو ... ذلك الإنسان !

ومضيت أرتدي ملابسي . إلى أين يا أبي ؟ إلى هناك يا بني ... إلى حيث أودع الصديق الحبيب الذي ضمك يوما إلى صدره ، وقبلك ، وأوصاك أن تكون أديبا ... ألا تأخذني معك يا أبي ؟ يعز علي ألا آخذك يا بني ، إبق هنا حتى أعود إليك ... بدموعي !

وبعد دقائق كنت هناك ... كنت في ذلك المكان الذي قدر لي فيه أن أرى علي طه محمولا على الأعناق ! وسرت وراء نعشه ، سرت في زحمة المشيعين بجسمي ، أما فكري ... فقد كان مع الماضي القريب ، كان ينتزع الذكريات الغالية من قبضة الزمن !

في أول عدد من الرسالة كتبت فيه « التعقيبات » حملت سلاحي ، وهو قلمي ، ودافعت من الشاعر الذي لا أعرفه : على محمود طه ... وفي هذا العدد من الرسالة ألقي سلاحي ، وهو قلمي ، لأنني لا أستطيع أن أدافع من الشاعر الذي عرفته : علي محمود طه ... لقد كنت بالأمس قادراً على أن أدفع عنه هجوم الناس ، أما اليوم فليس بوسعي أن أدفع عنه هجوم القدر ، ولا أن أرد عوادي القضاء !

كان اللقاء الأول بيني وبينه في صحبة الأستاذ صاحب الرسالة ، كان هو الذي جمع بيننا فالتقينا ... كأكرم ما يلتقي الصديق بالصديق . وتكرر بعد ذلك لقاؤنا وعلى مر الأيام ... ربط الحب بين قلبينا بأقوى رباط . وفارق علي طه الدنيا وهو قطعة من نفسي ... نفسي التي وهبتها قطعا لأصحاب الوفاء !

أشهد لقد كان علي طه مثالا فريدا في صداقته وإنسانيته . وأشهد ما رأيت إنسانا يفتح قلبه لأحبابه من أول لقاء كما رأيت هذا الإنسان ... لقد كان علي طه يقف أبدا وراء قلبه ، أشبه بالرجل الكريم الذي يقف وراء بابه في انتظار الطارقين ! وما كان أعذب حديثه إذا تحدث . ما كان أروعه وأمتعه ! لا أذكر مرة أنني جلست إليه دون أن يلذ لي الصمت الطويل ليفرغ هو للحديث الطويل ... إنني أحب دائما أن أستمع إلى صوت فنان ، ينطلق من بين شفتين تنتسبان إلى إنسان ! مرة واحدة هي التي ضقت فيها بحديثه ، وأوشكت أن أضع يدي على شفتيه . كان ذلك ونحن نزوره في مرضه الأخير الذي لقي فيه ربه ... لقد كان الصمت المفروض عليه هو الطريق الوحيد إلى الحياة ، ومع ذلك فقد آثر أن يضحي بحياته ليتحدث إلى أحبابه ... هو الذي كان يعلم أن كل كلمة ينطق بها لسانه تحمل الفناء لكل نبضة من نبضات قلبه ! يارحمة الله له ، لقد كان في ذلك اليوم أشبه بزهرة ذابلة ... هو الذي كم أفاض علينا من عطره وشذاه !

ما سمعت علي طه مرة يذكر إنسانا بسوء ، أو يتناول شاعرا بذم . وكان إذا تحدث عن نفسه فهو الحديث الطلق الذي يخرج من أعماقه وهو قريب من فكرك حبيب إلى قلبك ، فلا زهو ولا صلف ولا غرور ولا ادعاء ... ما أثقل الحديث تسمعه من بعض الناس إذا دار حول النفس أو طاف حول معالم الذات ! ما أثقله من كل متحدث عن نفسه ، وما أخف وقعه على الشعور وأبعد نفاذه إلى العقول إذا كان المتحدث علي طه ... كان إذا تحدث عن نفسه فليرسم صورة الإنسانية كما فطره عليها الله . وكان إذا تحدث عن شعره فليحدد طاقته الفنية كما تعارف عليها الناس ... إيمان عميق بالنفس وإحساس صادق بالقيم . ورحم الله

أولئك المؤمنين بأنفسهم ، يضعونها الموضع اللائق الكريم ، دون جور على الحق إذا كان لهم في رحابه نصيب أي نصيب !

رحم الله علي طه ، لقد كان واحداً من أولئك ... كان يعرف لنفسه قدرها ويعرف لشعره مكانه ... لم يهبط به أو بها إلى ذلك الدرك السحيق الذي يهبط إليه غيره من الشعراء ؛ أولئك الذين يضحون بكرامتهم الفنية في سبيل اللقمة الزائلة والشهرة الزائفة ... ويدفعون بها إلى الحضيض لقاء كل زهيد من الأجر وكل تافه من الجزاء ! كان شعلة متوقدة من الإحساس بالجمال ؛ الجمال في شتى صوره وألوانه ومعانيه : جمال الصداقة ، وجمال الكرامة ، وجمال الحياة ... أخلص للجمال الأول فاغترف الأحباب من نبع وفائه ، وآمن بالجمال الثاني فقبس الكرام من وهج إبائه ... وهام بالجمال الأخير فقصر الشعراء عن بلوغ مداه !

كان علي طه أشبه بالبلبل في حياته ... إذا حلق فلا يحلق إلا في أفق يهيئ له وسائل التغريد ، وإذا وقع فلا يقع إلا على غصن يشد له أوتار الغناء ! وكان إذا طوّف تخير البقعة التي تثير خيال الشاعر ، وإذا شدّ الرحال فإلى الأرض التي تفجر عواطف الفنان . لقد قضى حياته يفتش عن مواطن الإثارة في كل مشهد من مشاهد الكون وكل مجلى من مجالي الطبيعة ، فإذا جلس يوما إلى مائدة الحياة ... عب من رحيقها المصفى وعب من عصارة الروح في أشهى الدنان ...

وكان صاحب ذوق نادر ، ذوق كنت أرتبه طويلاً جوانب نفسي تقديراً لها وإعجابا به ... كنت أرتبه إذا ما تحدث عن لوحة فنية رائعة ، عن قطعة موسيقية هزته ، عن أثر أدبي ترك ظلاله في نفسه ، عن منظر طبيعي فجر الشعر في أعماقه ... عن أي شيء وقعت عليه عينه والتقطه حسه وعاش في طوايا الوجدان ! كان مسكنه آية على ذوقه .. إذا دخلته حكمت على صاحبه من أول نظرة بأنه فنان ... أنظر إلى هـذه اللوحة الرائعة التي تغطي جداراً بأكمله ، وإلى تلك التي تغطي الجدار الذي يواجهه . وإلى اللوحات الأخرى الصغيرة التي انتثرت هنا وهناك ... وتأمل هذا التمثال ، وأدر هذا الأسطوانة ، وطف ما شئت بأجواء الشرق والغرب ، وهي تشرك لوقع الفجيعة وأطرق لحظة من زمان ... إن البلبل الذي كان يصدح هنا قد طوت الريح جناحيه ، وهوى من سماء الفن إلى أرض السكون والعدم ... ولا رجعة له بعد ذلك ولا إياب !

أذكر أننا تواعدنا على اللقاء ذات مساء في « الأهرام » ، ثم خرجنا معا نقصد إلى ضفاف النيل والليل ساج والسكون غارق في ضياء القمر ... وراح علي طه يتحدث عن الحياة ، وينشد من أشعاره ، ويروي من أخباره ، ويحلق ما شاء له التحليق على جناح الذكريات ... وحين يفرغ من هـذا كله يمد عينيه إلى الضفة المقابلة ثم يهتف بصوته الحالم : أنظر إلى هذا البيت الجميل الذي ينام في أحضان الزهر . وإلى ذلك البيت الأنيق الذي يستحم في مياه النهر ... هـذه يا صديقي هي الأبيات ... الأبيات التي أقامها أصحابها على دعائم الواقع . أما أبياتنا نحن الشعراء فقد أقمناها على دعائم الخيال !

وأجيبه في صوت يمتزج فيه الإنكار بالعزاء : بالله حسبك . إنها أبيات من حجارة وطين ، سعيش أصحابها نكرات ويموتون كذلك ... وستمتد إليها يوما يد البلى فلا يبقى منها حجر ولا أثر أما أبياتك وأبيات الموهوبين من أمثالك فهي من نفس وروح ... لن تبلى لأنها ستعيش في الضمائر والقلوب ، وسيعيش أصحابها ما نطق لسان وما كتب قلم ... إنك يا صديقي تعكس القضية ، إن أصحاب الفن هم أصحاب الواقع ... لأنهم أصحاب الخلود !

ويعترض علي طه في لطف ثم يقول : أصحاب الفن هم أصحاب الخلود ؟ هـذا حق جميل ، ولكن الحق المر أنهم ليسوا كذلك هنا ... في هذا الشرق يا صديقي ! ... الشرق الذي قال عنه الزيات كلمة ستظل إلى الأبد شعاراً له ... ترى أتذكر قوله : « ... إن النابغ في أمم الشرق يعيش وكأنه لم يولد ، ثم يموت وكأنه لم يعش ؛ ذلك لأن الحياة فيها لا تزال نوعا من السكر الغليظ يذهل الناس عن الوجود أكثر العمر ، فإذا أفاقوا — وقليلا ما يفيقون — عربد بعضهم على بعض ! ! »

وأقول ردا على اعتراضه : إن هذه الكلمة قد تعبر عن الشرق في هـذا الجيل ، ولكنها لن تعبر عنه إلى الأبد كما تظن ... إن أبناء هذا الجيل لن يؤرخوا الأدب وحدهم وكذلك لم يؤرخه أبناء الأجيال الماضية ... إن هناك أجيالا آتيـة ستكون أوسع أفقا وأكثر ذوقا وأوفر فهما وأعمق ثقافة ، فليطمئن كل صاحب حق إلى أنه سيظفر بحقه ... إن لم يكن اليوم فغدا ، وإن لم يكن في الغد

القريب فى الغد البعيد على كل حال ... يا أخى ما أكثر طمعك ! ألا يكفيك أنك ملء السمع والبصر فى كل مكان ؟ !

ويتوقف على طه عن السير ثم يقول : كلمات يسمعها الشاعر من الناقد ما دام على قيد الحياة ... فإذا مات ... قبض الناقد قلمه عن تقويم شعره واكتفى بكلمة رثاء !

وأهمس فى أذنه ضاحكا : إذا مت قبلى فلا تخف ... سأكتب عنك مقالا ! ويغرق على طه فى الضحك ثم يقول : وأنت أيضاً لا تخف ... سأرثيك ببيت من الشعر ! إن مقالا واحداً من الكاتب لا يستحق غير بيت واحد من الشاعر ... ويعود على طه فيتحدث عن الحياة ، وينشد من أشعاره ، ويروى من أخباره ، ويحلق ما شاء له التحليق على جناح الذكريات !

يا أخى ... يا صديق ... يا أيها الطايف الذى مر بدنياى مرور الطائر الغريب رفرف فى سماء الله ... يا أيها الحلم الذى أيقظ الدجى فى خيالى ثم أغفى على جبين الصباح ... يا أيها الأمل الذى عانق قلبى عناق النسمة العابرة لضفاف جدول ظمآن ... يا أيها الشعاع الذى رقرق النور فى حسى ثم أفرغ فى كأسى مرارة الظلام ... يا أيها الشراع الذى هز بالشدو شاطئى وقبل أمواجى ورحل قبلى إلى الشاطىء المجهول ... تعال نذكر أيامنا التى مضت ، ولياليا التى انطوت ... وأشواقنا التى استحالت فى معبد الحب دعاء وصلاة ! !

يا أخى ... يا صديق ... إن وفاءك يطوق عنقى ... إن دينك يثقل كاهلى ... لقد تحدثت فى هذا العدد عن على طه الصديق، والإنسان أما فى الأعداد المقبلة ... فسيكون الحديث عن على طه الشاعر والفنان.

ومعذرة وفاء من عقبية البرير :

صورة يتيمها نبى ... لمن الصورة ... ولمن كانت هذا النبى الطويل يا على ؟.. أحقاً أنك أنت يا شاعر ؟.. أحقاً أنك تتوارى عن الحياة التى ملأتها نغماً ؟.. أحقاً أنك أنت يا شاعر ؟ !

جمعتنى به الحياة على شطها الفانى قبيل مرضه بقليل ... وطال بيننا الحديث ... وحديثه حلو طويل ... يسمعه السامع فلا يمل ... ويستزيد !.. قال لى فى ختام حديثه : من يعينى بعد موتى ... إنى أحس المنية تقربنى ... أتنعينى يا أناة ؟!. ما كنت أعلم حين سألتك عما أقول فى نعيك بعد موتك ... وحين قلت لك مازحة أأقول فيك :

يا راحلاً من فتنة الدنيا التى ملئت من الأكدار والأحزان

ما كنت أعلم حين أجبتنى : لا ... دعى ذلك لأهل الزهد ، وقولى فى : « مات شاعر النيل الحسان ... مات عابد الحسن والجمال » . إن هذا يكفينى أن يكون من إحداهن !

قلت يا ويلتا ... يرى الجيلُ المقيمَ جيلا !

والآن ... وقد حلت الفجيعة ووقع الخطب ... ما حيلتى فى نعيك يا على ولست من أهل البيان ؟ !

أحقا أنك أنت يا شاعر ؟ ؟

هذه الدمعة الصادقة ، تلقيتها من الأديبة الفاضلة (ل . م). وقد رأيت أن أسجلها هنا وفاء للوفاء ... ووفاء الفقيد .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

فقيدنا الشاعر علي محمود طه :

ما كنا نستبشر بإبلال صديقنا الشاعر الكبير علي محمود طه حتى فوجئنا وفجعنا بفقده . حسبنا أن الأقدار قد خففت عنا ما أصابنا من الهم لمرضه ، وأنا سنسعد بسلامته واستئناف صحبته ؛ فإذا هي تصب علينا نعيه تغرقنا في الهم والأسى ، وإذا نحن نلقاه مسجى في نعشه ، في اليوم الذي قدرناه للفرح برؤيته بعد مبارحة المستشفى ، فياله من لقاء !

قضينا هذه الأيام ، وما نزال ، في غمرة الأسى ، لا نستطيع غير الوجوم الحزين ، فما لقيت أحداً من إخواننا الأدباء حتى ذكرنا الفقيد العزيز وتبادلنا النظرات المفصحة عما يعلو الوجوه من الكآبة ، ثم نلوذ بالصمت خشية التهدج ، ونختلس مسح العبرة ، لإظهار التجلد ، وإيثار التجمل .

كان لعلي محمود طه شخصية واضحة جذابة ، وكان وضوحها ينم على ما فيها من طيب وصفاء . ويخيل إلي أنه ترك كل من عرفهم أصدقاء ، فلا يملك من يعرفه إلا أن يحبه ، فقد كان إنساناً نقياً مما يشوب الإنسانية الصافية ؛ كان مرحاً طروباً ، أقبل على الحياة بنفس مبسوطة لا تعقيد فيها ، فراح يستثمر ما فيها من جمال ، بحس الشاعر المرهف ، يعب من مواردها ما يحيله إلى فن جميل ، ويرتاد آفاق الحسن في الشرق والغرب ، ثم يصوغه شعراً خالداً ولحناً يتغنى به الزمان . لم ينغصه غير العلة التي عصفت به زهو يفرد على أفنان هذه الحياة ليجعلها متاعاً وبهجة لمن يصغي إليه ، ولكن طبيعتها القاسية غلبته على أمره ، فسدد الأسى من بعده لوعة وحسرة بعد المتاع والبهجة .

كان علي محمود طه حلقة في سلسلة تطور الشعر العربي الحديث ، تتميز بالأصالة المبينة ، وأعني بكل كلمة من هاتين الكلمتين معناها الواسع ؛ فقد كان أصيل الشاعرية ، لوى شعره عن التقليد والترديد ، وقصد إلى مشاعره وخواطره لا يحرص على شيء قدر ما يحرص على أدائها وإبرازها ؛ وكانت إبانته تتمثل في حسن تأتيه وبعده عن الخيال الجدب وعن الابتذال في الأجواء التي لا يأتي منها الوغل فيها بشيء ، فكان حذواً بين المدرسة القديمة الجامدة والمدرسة الحديثة المضطربة ، أو قل إنه كان يمثل المدرسة الحديثة كما ينبغي أن تكون .

وكان بيانه وأصالته يرتكزان على ثقافة واسعة منوعة ، هضمتها طبيعته الفنية وتمثلتها ، فقد اغترف من الآداب المختلفة واستوحى البيئات المتباينة ، وسيطر على كل ذلك بقوة هضمه ، وضبط مقاييسه بفنه الهندسي ، فأخرج بذلك فناً من الشعر سوياً متناسق الألوان .

كان الفقيد الكريم طوال الصيف الماضي يعاني مرضاً شديداً ، خف عنه أولا ، ثم انتكس فعاودت قلبه العلة ، وكان يعالج أخيراً في المستشفى الإيطالي ، وقد تماثل وتقدم نحو الشفاء ، حتى عين يوم الخميس الماضي (١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٩) لخروجه ، وفي هذا اليوم المعين لبس ثيابه وتأهب لمغادرة المستشفى ، وإذا هو يسقط صريعاً بين أيدي من أتوا لمرافقته إلى منزله .

وتوفي الفقيد وهو في السابعة والأربعين من عمره ، وقد قضى أكثر حياته العملية موظفاً في الحكومة ، بعد أن تخرج في مدرسة الهندسة التطبيقية ، وتنقل في الوظائف حتى كان مديراً لمكتب رئيس مجلس النواب ، وفي سنة ١٩٤٥ استقال من هذا المنصب ، إذ آثر أن يفرد طليقاً بعيداً من وظائف الحكومة ، وظل كذلك حتى عين في هذا العام وكيلا لدار الكتب المصرية .

أخرج الفقيد عدة دواوين ، هي « الملاح التائه » و « ليالي الملاح التائه » و « أرواح وأشباح » و « الشوق العائد » و « زهر وخمر » و « شرق وغرب » وله مسرحية شعرية هي « أغنية الرياح الأربع » وله أيضاً كتاب « أرواح شاردة » وهو يحتوي على نثر وشعر .

إن يكن علي طه خلَّى مكانه بين الأحياء الفانين ، فستظل آثاره باقية في سجل الخلود ، وتبقى شمائله حية ماثلة في نفوسنا ما بقينا .

تكريم دسوقي أباظة باشا

احتفلت جامعة أدباء العروبة يوم الأربعاء الماضي في فندق الكنتال[1] ، بتكريم رئيسها معالي الأستاذ دسوقي أباظة باشا ، وقد تساءل معاليه في كلمته بختام الحفلة عن مناسبة هذا التكريم ، فقال هيكل باشا : مناسبتها أنك عدت إليهم بعد طول غياب ، فكثرة اشتغالك بالمسائل العامة حالت بينك وبينهم مدة طويلة . وقال دسوقي باشا : جرت العادة أن يكرم الوزراء المعينون لا الوزراء السابقون ، فهنا تقليد جديد نبيل ولعله يغري الوزراء الحاليين بالخلاف .. وقد أبدى حفني محمود باشا تخوفه من أن تكون هذه مؤامرة لأخذ دسوقي باشا إلى جانب الأدب وترك زملائه السياسيين وحدهم في الميدان ، ولكنه عقب بأنه يقول الحق إذ يصرح بأن مجتمع الأدباء بما فيه من سمو العاطفة وجمال الحب الصادق يفضل ألف مرة مجتمع السياسة بما فيه من عداء ونفاق .

وكان طبيعياً أن يتتابع الشعراء والخطباء مكثرين من الشعر والنثر في تكريم دسوقي باشا ، فالمجال مجالهم والقوم كلهم شعراء وخطباء ، والرجل حقيق بالتكريم والتقدير ، لأدبه ونبله وحسن رعايته ، وقد جاذبته السياسة ، فلم تأخذه من الأدب بل كان هو يؤدبها .. ودسوقي باشا يحب أعضاء جامعة أدباء العروبة كما قال في كلمته إذ وصف الحفلة بأنها « تلبس » في حالة حب متبادل بينه وبينهم . ولكنه لا يقصر عليهم حبه ، فهو يميل إلى الأدباء عامة ويعجب بكل مجيد منهم ، ولا عجب في ذلك فهو أحد هؤلاء الأدباء ، وقد ظفر عالم الأدب منه أخيراً بكتابه القيم « وميض الأدب في غيوم السياسة » على رغم اضطلاعه بأعباء الوزارة كما يدل على ذلك عنوان الكتاب .

ألقي في الحفل شعر ونثر كثير ، وكنت أود أن يخرج القائلون بعض الخروج من حدود القوالب المألوفة في المديح إلى شيء من الموضوعية ، أعني أن يكون للكلمة أو القصيدة موضوع غير مجرد المدح ، وقد كان ذلك في بعض ما قيل ولكنه قليل . وكنا ننتقل من سماع الجيد إلى العادي أو المعدوم القيمة ، والعكس ، حتى رأيناهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً ، ويبدو أنهم قدموا « أعضاء

[1] هكذا ينطق العامة كلمة « الكونتننتال » وهو تعريب سليق مقبول .

كشكول الأسبوع

◻ احتفلت وزارة المعارف بتكريم حسن فائق باشا وكيل الوزارة السابق لمناسبة الإنعام على سعادته بنشان النيل تقديراً لجهوده في خدمة التعليم ، فأضاف معالي العشماوي باشا بذلك إلى المعنى السامي الكريم معنى الوفاء لرجل خدم التعليم أربعين عاماً .

◻ أصدر معالي وزير المعارف قراراً بتأليف لجنة برياسة خيري بك وكيل الوزارة المساعد ، لدراسة مسائل الكتب الدراسية المقررة لمواد الدراسة وللمكتبات ، بغية وضع نظام يحقق المصلحة العامة مع الحرص على كرامة المؤلفين وعدم الإضرار بدور النشر الحرة .

◻ يعمل مكتب صحافة الباكستان بالقاهرة في إعداد مجلة باسم « رسالة الباكستان » تعنى بالنواحي الفكرية والثقافية وخاصة ما يتصل بالعالم الإسلامي . ويصدر العدد الأول في مستهل ديسمبر القادم ، وستكون نصف شهرية .

◻ قالت « الأهرام » إن الرأي استقر على أن تصدر اليونسكو مجلة موحدة بالإنجليزية والفرنسية ، لمقاومة الأمية وتعليم الكبار ، وإن الرأي استقر أيضاً على إصدار نسخة منها بالعربية على أن تقوم حكومة عربية أو أكثر بإعداد الترجمة الفنية للأصول الإفرنجية .

◻ مما يذكر لمناسبة عقد المعاهدات الثقافية ، أن الخليفة المأمون حينما عقد معاهدة سلم مع عاهل القسطنطينية ، بعد انتصاره على الجيوش البيزنطية ، اشترط عليه في المعاهدة المذكورة أن يرسل له مجموعة من الكتب العلمية والفلسفية اليونانية .

◻ جاء في كتيب أصدره « مكتب العلاقات العامة لحكومة السودان » أن السودانيين ليسوا مصريين لا من ناحية الجنس ولا من ناحية الثقافة . . لماذا ؟ لأن سكان السودان سود اللون مسلمون يتكلمون العربية ...

أما السواد فيشترك معهم فيه سكان مصر العليا ، ولا يبقى غير فارق واحد ، هو أن السودانيين مسلمون يتكلمون العربية والمصريين مسلمون يتكلمون العربية أيضاً !

◻ كتبت السيدة بنت الشاطئ في « الأهرام » تستنكر ما ردده بعض الكتاب والشعراء من استحقاق أولياء الأمور على أسرة للزلزلي وما قالوه من أن ما يتم لأبنائه أجدى من تأبينه بالشعر والنثر . وقد ذهبت الكاتبة الفاضلة إلى أن ذلك يؤذي كرامة أديب إنسان ويهدر المعنى الذي كافح من أجله ، وأن المثل الأدبية خير وأبقى .

◻ كتب الأستاذ يوسف وهبي بك كلمة في « المصري » عن قرار الحكومة رفع الإعانة السنوية للفرق الأجنبية إلى ١٦ ألف جنيه لمناسبة حضور مغن إيطالي لا يتفق نشازه في الأذن المصرية عن (الصوات) وصياح النسوة في الجنازات . وقال يوسف بك : لقد فرحنا بزوال وصمة المحاكم المختلطة فمتى تزول عنا وصمة الفرق الأجنبية التي تحتل دار الأوبرا في أحسن شهور السنة ؟

◻ قال أحد الظرفاء : كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا :
قالوا : لكن يوسف لم يأكله الذئب . قال : فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف !

مكتب الجامعة » على غيرهم دون مراعاة الأجدر بالتقديم من هؤلاء وهؤلاء .

وممن أجادوا الأستاذ محمود غنيم وقد ألقى أبياتاً أولها :

حكم تقاص عنـــــه ظلا لك ما تقاص عنـــــك ظله

وكانت كلمة الدكتور حسين الهمداني الملحق الصحفي بسفارة الباكستان — ذات موضوع ، فكانت كلمة الباكستان حقاً في تكريم دسوقي باشا ، وقد تحدث فيهـا عن مكانه في الأدب وفي السياسة وقال إنه كان في سياسته عربياً مسلماً قبل أن يكون مصرياً قومياً ، فقد شغل نفسه بالمسائل الشرقية العامة حتى كان يتخيله وزيراً باكستانياً في مجلس وزراء مصر عند ما كان يستمع إليه في مناسبة تخص الباكستان . ودعا الدكتور الهمداني إلى إقامة مؤتمرات أدبيـة ومهرجانات عربية تتغذى الأرواح وتشيد بمفاخر البلاد .

ومن القصائد الجيدة قصيدة الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي ومطلعها :

هذ للخميلة كالربيع الناضر بانفحـة الشادى وأنس السامر

وكانت قصيدة الأستاذ أحمد مخيمر أدنى إلى التحليل ، ومن قوله بعد أن تحدث عن السياحة وتلونها :

واليوم نأسى للنور الذى فقدوا واليوم نفرح بالمجد الذى خسروا

وقد ألقاها الأستاذ عبد الفتاح الشناوى إلقاء جيداً . أما الأستاذ العوضى الوكيل فقد دفع بقصيدته إلى من يلقيها ، فانتهز الفرصة وجعل يخطب قبل أن يلقى . وقد أساء إلى الشعر والفنة فى الخطابة والإلقاء ، عوض الله العوضى خيراً ...

شؤم ابن الرومى :

كتب أحد الأدباء بتوقيع « م . ف . ع » بجريدة المصرى ، مقالا عنوانه « ابن الرومى الشاعر المشئوم الذى حلت لعنته على وزارة المعارف » أراد فيه أن يسوق طرائف يمتع بها القارئ ، واندفع مع الرغبة فى الحبك الصحفى إلى « تأليف » وقائع تتعلق بشؤم ابن الرومى ، فقال إن وزارة المعارف ألفت لجنة سنة ١٩٤٥ لإخراج ديوان ابن الرومى ، وفى اليوم الذى وقع فيه السنهورى باشا وزير المعارف بوماذاك القرار بتأليف هذه اللجنة استقالت الوزارة ، ولما تولى الأستاذ على أيوب بك وزارة المعارف أعاد تأليف اللجنة ، وفى اليوم الذى أصدر فيه القرار استقالت الوزارة ، ثم جاء الأستاذ مرسى بدر بك إلى وزارة المعارف وعرضت عليه إجراءات الشروع فى طبع الديوان ، فلما وافق عليها استقالت الوزارة .

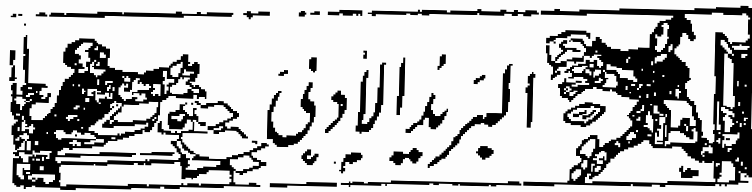
ولا أريد أن أقف عند ذلك كثيراً ، مكتفياً بالإشارة إلى أن اللجنة الأولى التى ألفت فى عهد السنهورى باشا مضى على تأليفها عدة أشهر وهو وزير المعارف ، وقد يكون باق ما ذكره أو بعضه من هذا القبيل . وإنما أريد أن أعرض لقول الكاتب الأديب فى آخر المقال : « ويظهر أن القدماء قد أفزعتهم هذه الروح المشئومة التى وضحت فى تصرفات هذا الشاعر فأغفلوه وأهملوا شعره ودأبه مع تقديرهم لعبقريته الشاعرية ، فلم يترجم له صاحب الأغانى ولم يقدم أحد على الاهتمام بديوانه ، فظل ديوانه — وهو نجم نغم — مطوياً إلى اليوم فى مطاوى النسيان » .

فهل من الحق أن صاحب الأغانى وغيره من القدماء أغفلوا ذكر ابن الرومى لفزعهم من شؤمه ؟ أقول قبل كل شئ إننا رأينا المؤلفين يتحدثون عن تشاؤم ابن الرومى بغيره من الناس والأشياء ، أما تشاؤم الناس به وفيهم المؤلفون ومنهم صاحب الأغانى فلم نره عند المتقدمين . على أن صاحب الأغانى لم يغفل ذكر ابن الرومى إطلاقاً ، فقد ذكره مرتين : مرة نسب إليه انتحال بيت من الشعر لإبراهيم بن العباس ، ومرة أظهره بمظهر الشامت فى نكبة سليمان بن وهب ، فلو أنه كان يفزع من شؤمه لما أتى بذكره . إذن لماذا أهمل صاحب الأغانى الإشادة بابن الرومى وشعره ؟ حقق الأستاذ كامل كيلانى هذا الموضوع فى كتابه «صور جديدة من الأدب العربى» فأرجع ذلك إلى أن ابن الرومى كان مكروها من الناس لإقذاعه فى الهجاء ، وكان فيمن هجاهم البحترى وكانت له مكانة بين أعيان الدولة وكبار رجالها ، وكان أبو الفرج يحبـه ويشيد بذكره ويعنى بآثاره ، ومنهم الأخفش أستاذ أبى الفرج « فلا غرو أن يغرس الأستاذ فى نفس تلميذه بذور الكراهية والبغض لابن الرومى منذ الصغر ، أو يغضب التلميذ لأستاذه فيعمد إغفال من جعل همه الأول شتم أستاذه والتشهير به »(١)

ومهما كان السبب فى إهمال صاحب الأغانى الترجمة لابن الرومى والتنويه بشعره ، فليس من المعقول أن يكون ذلك لتشاؤمه به وخوفه من أن يقع له شر ، كما وقع للمازنى والعقاد وكامل كيلانى حين تعرضوا لشعره ودراسته ، فقد كسرت رجل الأول وسجن الثانى ومات ولد الثالث ، وهى اتفاقات لا تذكر إلا فى مجال التلهى والتندر .

عباس خضر

(١) ص ٢١٠ من كتاب « صور جديدة من الأدب العربى »



لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها :

هل تأذن أيها الأستاذ الجليل أن يكتب إليك قروى نشأ فى قرية من قرى السودان التى صور الحال فيه شاعر من شعرائه مخاطبا قصبته الخرطوم ، بقوله :

يا ملتقى النيلين أنت جميلة … بهما تيهى وافخرى واختالى
كم فى مغانيك الحبيبة من فتى … ضاعت مواهبه لفقد المال
ولكم بها من عبقرى بائس … يمسى ويضحى بالى الأسمال
ليت الذى منح المواهب أهلها … لو كان زودهم بحظ عال

فإذا كانت هذه حال عاصمته فما بالك بقرية من قراه النائية ؟ حالت الظروف المادية بين كاتب هذه السطور وبين مغادرة قريته ليتعلم علماً أو ليكتسب أدباً فقنع بما تلقاه عن الوافدين على قريته من علماء الدين وطلاب الأدب .

ولكن الرسالة الغراء مد الله فى حياتها وكثر عدد صفحاتها وأمتع بما يدبجه قلم الأستاذ الزيات من مقالات عقول قارئيها وقارئاتها ؛ هذه الرسالة قد تخطت الحدود والقيود وتسللت خيطاً من النور إلى ظلام هذه القرية فتعلق بها هذا القروى ورأى فيها متعة العقل والروح ، وسلوى القلب والنفس ، وقد كثر تعلقه بها حتى خال نفسه تلميذاً مخلصاً لصاحب الرسالة .

قرأت فى عدد الرسالة (٨٢٢) فى باب الكتب تحت عنوان على هامش كتابين للأستاذ كامل محمود حبيب ناقدا للكتاب (مع الناس) للأستاذ الموصافى فجاء فى نقد الأستاذ حبيب يصف مؤلف الكتاب بقوله : وللمؤلف فكرة واحدة هى إيمانه بقول سيد العرب صلى الله عليه وسلم (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) الخ وأقول إن هذه الحكمة قد ذكر مؤرخو حياة الإمام مالك بن أنس أنها من كلامه ، وعلى هذا فهى ليست من حديث سيد الخلق صلوات الله عليه وبالمناسبة أذكر أنى قرأت منذ سنوات حديثاً للأستاذ حافظ وهبه تحدثه من إذاعة لندن ونشرته مجلة المستمع العربى ، آنذاك قال فيه يتحدث عن مليك جلالة الملك بن السعود أنه كثيراً ما يردد فى مجالسه هذه الحكمة التى رويت عن الإمام مالك (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح

واذكر أنى وقفت طويلاً فهم هذا الإصلاح ونوعه فقد كان أشياخنا فى دروس الفقه عندما يمرون بهذه الحكمة التى قالها أمامهم مالك يفسرونها بأن المسلمين الأولين انتصروا على أعدائهم بالسيف ، فإذا لم ينتض المسلمون السيف مرة أخرى لا يمكن أن يكونوا أنفسهم ويصلحوا شأنهم . وإنى مع اعتقادى الجازم بأن السيف أصدق أنباء من الكتب لا أوافق هؤلاء الأشياخ عفا الله عنهم الذين لم يكونوا واسعى الأفق فى تفسيرهم خصوصاً بعد أن علمت أن مسألة انتصار الإسلام بالسيف حاول خصوم الإسلام من الغربيين أن يجعلوا منها ثغرة ينفذون بها إلى الطعن فى تعاليم الإسلام . وقد رد عليهم مفكرو المسلمين المتأخرون بما يبدد شبههم وينفى قولهم : إذن ماذا يعنى مالك الذى هو من رجال الإصلاح فى وقته ؟ وماذا يعنى الملك ابن السعود الذى يعتقد كثير من العرب والمسلمين أنه من قادة الإصلاح ؟ ماذا يعنيان بهذا الإصلاح الذى صلح به المسلمون فى عصرهم الأول ولا يمكن أن يصلحوا إلا به فى كل عصورهم المتأخرة هذا ، وقف عنده تفكيرى مدة طويلة ثم هدانى فهمى القاصر إلى رأى لا أرى بأساً من عرضه على أستاذى الكبير الزيات .

إنى أرى أن المناسبة التى دعت الإمام مالك أن يقول كلمته هذه هى نفس المناسبة التى دعت ابن السعود أن يرددها فى مجالسه إذ أن بين المناسبتين تشابها كبيرا على أقل تقدير .

لقد عاش الإمام مالك فى العصر العباسى ذلك العصر الذى ترجمت فيه فلسفة اليونان وانتشرت فيه ثقافة الفرس وترفهم بين الطبقات العليا والمتوسطة من الأمة الإسلامية خصوصاً فى العواصم الكبرى وحصل على أثر ذلك بعض الانحلال فى المعتقدات والتدهور فى الأخلاق . ولعل بعض من يهمهم إصلاح المسلمين قد فكر فى طريقة للاصلاح تكون متمشية على أسس الفلسفة والسياسة العباسية وغيرها من سياسات الأمم التى سبقت العرب إلى الحضارة والمدنية . فلما سمع الإمام هذا الرأى قال . (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما يصلح به أولها) كذلك الملك ابن السعود لما رأى ثقافة الغرب وترفه يغزوان الأمم الإسلامية فينشران الإلحاد فى الدين والانحلال فى الأخلاق ، وسمع أن بعض القادة يرون أن المسلمين لا يمكن إصلاحهم إلا إذا اتبعوا الغرب فى

خطواته ولو دخل جحر ضب خرب . كما تم بهذا الإصلاح ردد تلك الحكمة التي سبقه إليها الإمام مالك (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) حقاً لقد صلح أول هذه الأمة بل لقد صارت هذه الأمة أمة بعد أن اهتدت بهدى هـذا الوحي الإلهي الذي واسترشدت بأخلاق محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلامه . فهل ترجع هـذه الأمم إلى هذين الأصلين تستوحي منهما الإصلاح أم تظل تجري وراء مبادئ الغرب من شيوعية وديمقراطية تلك المبادئ التي هي كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ؟

هذا رأي في هذه الحكمة أعرضه على القراء وأتمنى أن يجعلوها عنوانا لمقال أو مقالات تنشر في الرسالة لنستشف منها الهدى ونجد منها الإرشاد .

محمد عبد الله الوالي

فداس - السودان

نهاية نقاش

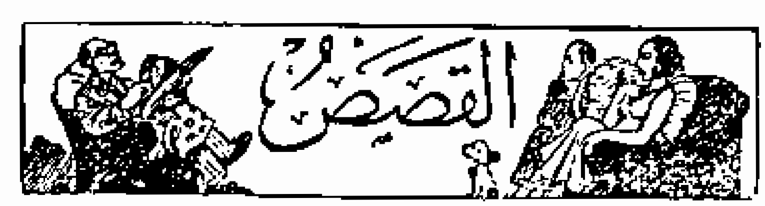
شاء الأستاذ محمد عبد الرحمن أن يردني مرة أخرى إلى ما كنت قد أزمعت منه انتهاء . . فأنا أشكره أن أتاح لي الفرصة لأتقدم إلى الأستاذ الراعي كل اعتذاري عما أخشى أن يكون قد فهمه من تعقيبي . . وغاية الأمر أني بطبيعتي غير ميال لأن أستقبل من الكلام ما يند عن المألوف في العلاقة بيننا وبين الخالق .

أما الأستاذ محمد عبد الرحمن فقد شاء — مشكوراً أيضاً — أن يطالبني النظر إلى التعبيرين من الناحية الخيالية والمجازية منحرفاً عن هذه الزاوية التي نظرت من خلالها ، وساق مثلا من قولهم « بنات الأفكار » — الأفكار إذن في رأي الأستاذ محمد هي والله سواء ... لا ياسيدي كان الأولى بك أن تستشهد بقوله عز وجل « يد الله مع الجماعة » فإن هذا أقرب لما نحن فيه وردي عليه أن يد الله كلمة معنوية لا تتخذ مجسما لها أي شيء أو غير ذلك من المخلوقات .

أما التخريج العجيب الذي رضي به عن عين الله فإنني ألمح من كلام الأستاذ محمد نفسه أنه غير راض عنه . الحقيقة والحقيقة هي الله والشمس عين الحقيقة ... أهكذا تظن .

وبعد ياسيدي فإنني مازلت أتوكأ على شرح الأستاذ الراعي فليست هناك لغة غير لغة الناس — ليست هناك غير هذه اللغة مهما دانت . وإنني مازلت اعتذر إلى الأستاذ الراعي عن الأسلوب الذي صفت به الكلمة معجبا به .

ثروت أباظة



بيت الذكريات

للأستاذ غائب طعمة فرمان

خمس عشرة سنة مضت وهو بعيد عن وطنه ؛ يعانى الآلام الغربة ، ويكافح أعباء الحياة ، ويتلمس الطريق إلى مستقبل جميل .

خمس عشرة سنة ذاق فيها أشد العناء ، وقاسى ضروباً من الفاقة والعسر وتثقلت على عاتقه تكاليف العيش ... واليوم يرجع إلى وطنه بعد الكفاح المضنى ، والفراق الطويل ، وقد أمحى من عينيه إئتلاق الشباب ، وتحولت صباحة وجهه إلى جهامة منكرة وذبول حزين ... فقد حطم خمساً وثلاثين سلسلة من السلاسل التى تربطه بالوجود ، وأخذ يترقب الاعمار إلى الجانب الثانى من تل الحياة ليستقبل السلام الأبدى فى قرارة الوادى السحيق ! فلاح الإجهاد على محياه ، وغشيه موج من الحزن عميق

الآن يرجع إلى وطنه ، ويستقبل هذا الشارع الضيق الذى يعرفه حق المعرفة ، وتصدمه رائحة العفونة المنبعثة من أكوام الأقذار ، وتملأ عيناه بمنظر الأحجار التى ما زالت قائمة بهايد الإنسان ، ولم تنل منها صروف خمس عشرة سنة ! .

يا للعجب ! . . ويا لمرارة الذكرى ! . . خمس عشرة سنة ما أحفلها بالأحداث والغير ، وما أترعها بالشجون والغصص ، وما أكثر ما غيرت منه ، وما جارت على بنيانه الإنسانى ! وتقلته من حال إلى حال . ولكن الشارع ما زال كما عهده لم يتغير منه أى شىء ! . إنه ليتذكر كل شىء فيه كأنما غادره أمس . . رحل عند إغفاءة النهار فى أحضان الليل ، ورجع فى يقظة الليل على ترانيم الفجر ! . فإن صور الليلة التى غادر فيها موطنه ما زالت مرتسمة فى صفحة مخيلته ، وما زالت ظلالها الحية عالقة فى ذهنه . وإنه ليتذكر أمه وهى تتشنج لتعبر عن عاطفتها الحبيسة ، وتضطرب شفتاها كورقتين ذابلتين ، وتشرق عيناها بالدموع وهو بين ذراعيها عنوق العبرة ، ذاهل الفكر ، مسلوب الإرادة . وكان الطريق — إذ ذاك — متوشحاً رداء الغروب كأنه يحس بلوعة القلوب الواجفة ! ...

واليوم يرجع إلى أهله ، ونفسه مفعمة بالحزن الكظيم ، ومشاعر لا يتبينها فى منظار ضميره ، وفى عين وجدانه . ولكنه يضرب برجليه فى تراب الطريق الحائل اللون ، ويتعثر بحجارته الصغيرة السوداء ، وعيناه تحدقان بالبيوت القائمة على الجانبين كأنها تنتظره ! .

وامتلأت خياشيمه برائحة كان ينفر منها أشد النفور ، ويضيق بها أعظم الضيق ، ومع ذلك فقد كان يلقاها مكرها حين يخرج من بيته ، ويعربها — مسوقاً إليها — حين يعود إليه . ولكنه اليوم يحس إحساساً قوياً عنيفاً بأنها تعطر نفسه التى أفسدتها الغربة ، ودمرها الجفاف !

ما أجمل هذا الطريق ! وما أبدع ما سطر من ذكريات فى سفر السنين ، قليلها حلو سائغ ، وسائرها ممعن فى المرارة ! فهو لا يكاد يذكر أنه قطعه مرة وهو خالى النفس من الألم ، صافى الفكر من الهواجس والظنون ، فكثيراً ما كانت تعتل نفسه بالألم ويحس بالضيق يدب فى مفاصله ؛ فيهرع إلى بيته يلوذ به من الهجير ويتقى تحت سقفه لوافح الألم وسموم الهواجس والظنون .

وقطع بعضاً من الطريق وهو يتلفت . كل شىء كما خلفه قبل خمسة عشر عاماً كأنما السنون تمر على جوانبه مر النسيم ! . وحتى لو يدلف إلى بعض البيوت ليرى سكانها أتغيروا مثلما تغير وعضهم الدهر بنا جذيه كما عضه هو ؟ . ولا شك فى أنهم سينكرونه أشد الإنكار لما أصابه من شحوب عنيف ، وكبر بالغ ، حتى كأنه قطع خمسين حجة ، وأفضت به السن إلى كهولة واهية ! . فالشيب تسلل إلى شعره كما تتسلل الخيوط البيض من الفجر فى لمة الليل الفاحم والسنون اللاحقة بسمومها أذوت نضارته ، وسلبته المرح ، وأعدته كآبة لاذعة ، ووجوماً ثقيلا .

ووصل إلى بيته ، وأطل على باحته من العتبة العالية ، وألقى نظرة واجمة على الداخل . على الجدران المسودة من لفح الدخان ، والأرض المهشمة البلاط ، وأبواب الغرف الضيقة المظلمة الأغوار ؛ ولمح فى تطواف عينيه كتلة بشرية جالسة القرفصاء ، ساندة رأسها على ذراعيها المتشابكتين .

وعرفها فتحركت في أرجاء نفسه اللواذع . وجاشت لواعج وجدانه فناداها : — أماه ! ... أماه !

فارتفع رأس المرأة بجادة ، ونظرت عينان صغيرتان حازنتان ، وارتجفت شفتان ذابلتان ، واختلجت أسارير وجه مخروق .

أماه ! لفظ جميل سرى في جسدها كالتيار الكهربائي . . لقد أطال عهد سماعها به ، فلما سمعته ترددت في أعماق نفسها أصداء بعيدة ، صادرة من ماض سحيق ، واعترتها رعشة . ودار في خلدها أنها تعرف صاحب الصوت .

وتقدم المتغرب خطوات ثقالا ، فلمحت الأم شبحاً يقبل عليها فنظرت بجهد إلى وجهه ، فلاح لها من بين أهداب عينيها وجه شاحب هزيل . فتمتمت قائلة وهي لا تصدق ما رأت عيناها

— عبد الرحمن ! ؟

وألقى الرجل جسمه في أحضان أمه كالطفل الخائف من الأشباح ! ، وخفقات الدموع الشفاء المحمومة التي طفقت تعبر عن حنانها بالقبل النهمة ، وتفصح عن شوقها بالمهمات .

وأرادت الأم أن تقول ولكن لسانها خانها ، فتلجلجت ، وتعثرت الألفاظ على شفتيها المرتجفتين ، فأمسكت رأس الرجل بيديها ، ونظرت في عينه كأنها تريد أن تستنطقها ، ولثمتها لثمات حرار وهي تبكي بصوت خافت .

ولم يستطع الرجل من جانبه أيضاً أن يعبر عن إحساسه إلا بشيء واحد وهو : أماه ... أماه ... بينما ظلت الأم تحت اللفظة السحرية تسكر وتحس نشوة من عبيرها الذاكي . ولكنها لا تعقب إلا اللثمات !

وأخيراً نطقت بصوت تترقرق فيه العبرة :

— أحق أن حلمي قد تحقق ، وأنك رجعت إلى بيتي بعد غياب طويل ! ؟

ومسدت بيديها شعره ، والتهمته بنظراتها وهو صامت بين يديها كالتمثال ...

قالت والعبرة لا تزال تقطر من ألفاظها :

— لقد عذبني غيابك ، وفرى صبري . لقد كنت أشفق عليك من أغوال الغربة ، وأخشى عليك انقطاع الأسباب بك . ويئس أهلك منك إلا أنا فقد كنت موقنة أعظم اليقين أنك سوف ترجع إلى يوماً ما .

وضمته إلى صدرها كأنها تريد أن تطرد الوساوس التي تناهبها . ثم قالت : — والآن رجعت . واستجاب الله دعائي وصلواتي . فقد كانت نفسي معلقة بك ، منتظرة إيابك ، تترقبه في كل لحظة ، وتتعزى بالأمل عن نكد الدنيا وغصص العيش .

وخنقتها العبرة كالكابوس ، وتفرست في وجهه الشاحب القطب المهيمن عليه الحزن والجمود ، وتطلعت إلى الجهامة المرتسمة على صفحاته . فأغمض الرجل عينيه واستسلم إلى ارتياح جميل !

وجاء أهله باشين به مهنئين . يا عجباً ! كأنه لم يعرفهم . . إن خمسة عشر عاماً كفيلة بأن تخلق جيلاً جديداً ، وتباعد بين المقترب وأهله . وتخلق برزخاً واسعاً بينه وبينهم !

وطوف ببصره في أرجاء المنزل ، منزل الذكريات . . يالله . ما أصلب هذا الحجر ، وما أعظم جبروته ! إن الكائن الإنساني تهدمه معاول الدهر ، وتزعزعه نكبات الأيام ؛ أما الجلاميد فإن الدهر يترقرق من جوانبه كما يترقرق الماء الزلال من صخرة جلمود !

ووقع بصره على غرفته الخاصة فرأى بابها موصداً ، ورأته أمه يحدق فيها فقالت :

— إنها كما تركتها ؛ لم تطأ عتبتها قدم ، ولم تجل في أرجائها عين . فقد كانت تذكرنا بك ، وتجعلك حاضراً معنا ، شاهداً على ما نلقاه من جراء غيابك . لقد أوصدت بابها في اليوم الذي سافرت فيه ، وكلما تقع عيني على بابها الثاني أتذكرك . ويخيل إلى أنك ما زلت فيها ، فتلفني الذكرى ، وتتحير في عيني الدموع ...

وجالت في خاطره فكر ، ومرت في مخيلته صور وأشباح . ونهض متثاقلاً كأنه يحمل على عاتقه خمسة عشر جبلاً من الهموم والأحزان ؛ ودفع باب غرفته فسمع لها صريراً أقشعر له بدنه . وخيل إليه أنه يلف إلى مقبرة ! . وطوف ببصره في أرجاء الغرفة المعرشة بخيوط العنكبوت ، المغبرة من تراب السنين . وجلس على كرسيه المغطى بطبقة سميكة من التراب ، وأسند كوعه على المكتب أمامه ، وظل يحدق في سقف الغرفة المختفي وراء طبقة من الظلام ، وأخرى من نسيج القدم !

وتدفقت عليه سيول من الأفكار كما تتدفق الأنوار على كهف مظلم مهجور ! .

ورأى نفسه يلقي على عاتقه خمس عشرة سنة من الزمن ،

وأ كثر منها فى عمر العاطفة والشعور . وقال فى نفسه :

— هنا .. وقبل خمس عشرة سنة كان يعيش شاب .. ابتلى بحمى العاطفة !

وارتسمت على فمه ابتسامة باهتة ساخرة .. كأنه يسخر من ذلك الشاب المثقل من الأشواق ! . . وراح يستطلع ما خبأه فى كوة الماضى البعيد ...

إنه ليتذكر الماضى على أحسن صورة . . كأنما الأشياء كلها وقعت بالأمس ... يتذكر ذلك الشاب الترق البعيد الآمال ، المجنون بحب المستحيل ، السارى فى دياجى الأحلام ، العبد الذليل لعواطفه ! ويتذكر كيف أنه كان يضيق بالحياة ، وتغلى جوانب نفسه بالثورة على كل شئ ، ولأى شئ ... وإنه ليتذكر ليلة كان القدر يخط سطراً كبيراً فى صفحة وجوده . . سطراً يحسبه كالعنوان لقصة حياته الملة التى فقدت عنصر التشويق . . تلك الليلة التى لقيها فيها . . إنه ليتذكرها – فتاة السابعة عشرة غضة لينة ، تنطق قسمات وجهها بعابث فى نفسه الحائرة برد الاطمئنان وقد سحرته عيناها البراقتان ، وبثنا سحرهما فى قلبه الضعيف الأسوار !.. وألهبتا وجدانه ، فكان يهرب إليها من جحيم واقعه لينظر إلى سواد عينيها . إلى تلك البحيرة التى تعكس أنوار مستقبله

كانت « سناء » جارة الجنب يراها كل يوم ... زهرة ندية فيانة بالعطر والندى .. فيتطلع إليها ، وتصده نظرات من عينيها ذوات سنان لم يعرفها وهو ابن العشرين ... ولكنه كان يحس فى قرارة نفسه بأن النظر إليها شئ جميل جداً ورائع جداً . . وكان سحر العيون أشد من كل سحر قلبه ، لا يستطيع أن يرده بإرادة ولا أن يخمده ببرود . . وكانت عيناها البراقتان كفيلتين بإذكاء النار الخامدة فى قلبه ! ... وأى شئ كان أضعف من قلبه !؟

وشعر بأنها هى الأخرى تحبه ، فقد انبجس له من افترار شفتيها ، وانطلاق روحها ، وانبساط محياها أمل حلو فى أنها تحبه ، وتبادله عاطفة بعاطفة مثلها . . وإنه لن ينسى تلك الليلة الحلوة للمتعة عندما رجع إلى البيت فرآها تنتظره بجوارها الرشيق ، وتحرك أوتار قلبه بابتسامها ، وتحدثه بعينيها الحسنتى التعبير .. وعندما اقترب منها عبق فى وجهه عطر خدّر أوصاله !.. وعندما دلف إلى بيته كانت شفتاه نديتين ! . . وكان حبه قد أينع من ثمر حلو المساغ !

وأطلت من شفتى عبد الرحمن ابتسامة وقد وصل إلى هذا الوضع وقال فى نفسه :

— هذه القمة السامقة من كل حب . ولكن لابد للإنسان من الإنحدار حين يصل إليها

— لقد صدق الفرنسيون حين قالوا : « الحب يولد بالنظر ، وينمو بالقبل ، ويموت بالدموع » !.. فلابد من الدموع

وكأنه أحس بحرارة الدموع . . فقد كانت القبل تسكره ، وتذهب باتزانه .. فهام مع أحلامها فى واد محرم . . وظل يهوم فيه حتى استفاق على صوت أبيها يزمجر ويتطلع كل سبب من أسباب حبه .

هناك أدركه الإعياء ، وخارت قواه . . ولاحت له الدنيا منارة مخيفة !.

ويتذكر ليلة الوداع . . حين جاءت إليه تودعه ، وتلقى فى مسامعه كلمات تريده لوعة وهى المرأة الضعيفة ... وقالت له :

— إنها ستحيا من أجله . ومن أجل شىء أعز عليها من نفسها.

واختلجت فى صدر عبد الرحمن لواعج وأشجان وهو يسترجع موقفه معها ، ويرى فى عينيها قصة آمال محطمة ، وخيبة مريرة فيقول فى سره :

— الحياة رحلة مضنية ! أدنى ما ينال المسافر منها التعب ، وأقرب ما يطرق باب نفسه فيها الإجهاد والضيق . . ثم السأم المطلق .

وأحس بأن غرفته أصبحت سجناً مظلماً ، وذكرياته أشباحاً مرعبة . فضاق صدره وطلع منها لمل الفضاء والنور والهواء التى يطرد أشباح الماضى وأطيافه المقيتة !

واستقبله شاب فى الخامسة عشرة ، منطلق الأسارير ، براق العينين ، مؤتلق الشباب . فنظر إليه طويلاً كأنه يعرفه . فقالت له أمه:

— هذا جميل .. ابن سناء . .

وارتجفت شفتاه وهو ينظر إلى وجه الشاب المتسائل وفى أرجاء نفسه يسمع صوتاً ينادى :

— ولدى !..

غالب طعمة فرمان

زوروا :

متحف فؤاد الأول

(أمام مخزن بضائع محطة مصر)
السكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية فى مختلف الأزمان وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل فى مصر والخارج

المتحف مفتوح للزيارة كل أيام الأسبوع ما عدا أيام الإثنين والعطلات الرسمية كما يأتى :

فصل الشتاء — من أول نوفمبر إلى آخر أبريل
من الساعة ٣٠ ٨ إلى الساعة ٠٠ ١٤

فصل الصيف — من أول مايو إلى آخر أكتوبر
من الساعة ٠٠ ٨ إلى الساعة ٣٠ ١٣

خلال شهر رمضان
صيفاً : « ٠٠ ١٠ « ٣٠ ١٣
شتاء : من الساعة ٠٠ ١٠ إلى الساعة ٠٠ ١٤

رسم الدخول ٢٠ مليماً

تليفون رقم ٤١٩٦٤

إدارة البلديات العامة

تقبل العطاءات بإدارة البلديات العامة (بوسطة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ١٩٤٩/١٢/١٩ عن عملية بياض وترميم أحواض الترسيب بمصلحة المجارى بالسويس . وتطلب الشروط والمواصفات من الإدارة على ورقة دمغة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ٢٠٠ مليم خلاف أجرة البريد . وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ابتدائى قدره ٢ ٪ لا يلتفت إليه .

٣٤٨٩

وزارة الأشغال العمومية

مصلحة الميكانيكا والكهرباء

مطلوب تقديم عطاء لغاية ظهر يوم ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٩ عن توريد وتركيب الكابل الكهربائى الخاص بإنارة مستشفى الحميات بكفر الدوار . ويمكن الحصول على دفتر الشروط مقابل جنيه مصرى للنسخة الواحدة بخلاف ٦٠ مليما أجرة بريد ويقدم تأمين ابتدائى بواقع ٢٪ مع العطاء وإلا فلا يلتفت إليه .

٣٥١٣